تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله

تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف للكتاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإني قد وقفت على كتاب؛ صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماه ((هذي هي الأغلال)) فإذا هو محتوٍ على نَبْذ الدين، والدعاية إلى نبذه، والانحلال عنه من كل وجه؛ وكان هذا الرجل قبل كتابته، وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق، والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يَرعَ الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب، الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً.

وبعدما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق، انقلب في

كتابه هذا من أعظم المنابذين له، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة

الغريبة لسوابقه؛ ولسنا بصدد التعرض للأسباب التي دعته لكتابة هذا

الكتاب، وكثير من الناس يظنون به الظنون التي تدل عليها القرائن،

وليست بعيدة من الصواب، لظنٍّ بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات

الدعاية الأجنبية اللادينية، ولكن لما كتب هذا الكتاب، وطبعه ونشره

بين الناس، وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام، بَلْه غيره من الديانات والمبادئ الخلقية، فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم، خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه، حيث كان معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين، ولم يدر ما طرأ عليه من الانقلاب؛ وإننا نعلم أن الذين يقرؤون كتابه، ويقفون عليه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من له بصيرة ومعرفة وتفريق بين الحق والباطل، ومعرفة بحقيقة الدين، فهذا لا يحتاج إلى التنبيه بل مجرد وقوفه على كلامه وفهمه، يكفيه معرفة ببطلانه وفساده؛ لأن هذا القسم من الناس لا تغرهم الألفاظ المزخرفة، ولا الاستدلالات المزورة المبهرجة.

القسم الثاني: من وقف على كتبه السابقة، ثم على كتابه هذا، ورأى ما فيها من الاضطراب والتناقض والتضارب وعدم الاستقرار على قول ورأي واحد، يقول القول اليوم فيهدمه بالغد ويبني ما هدمه ويهدم ما بناه، فبينما تراه يدعي أنه ينصر الدين ويغار على المسلمين، إذ تراه ملحاً في هدم أصول الدين، وقواعده حاملاً على حَمَلته متهكماً بالعلماء والمرشدين، مؤيساً لهم من الرقي في الحياة ما داموا متمسكين بدين الإسلام. وبينا تراه يحط على أئمة الدين، ومصابيح الدجى، إذ يصب الثناء والمدح على أئمة الكفر وزنادقة الملاحدة ويعظمهم غاية التعظيم، وبينا تراه يذم القديم، ويحث على رفضه ومراده به ما جاء به الدين علوماً وأخلاقاً وأعمالاً، ويحث على الأخذ بكل جديد، إذ تراه متناقضاً يحث على اتباع المنحرفين: كأرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من المتقدمين والمتأخرين، إلى غير ذلك من مناقضاته، التي توجب للناظر فيها أن يهدر كلامه ويسقطه من الاعتبار، ولو لم يكن من أهل العلم والإبصار.

وأما القسم الثالث: الذين لا بصيرة لهم يميزون بها بين الحق والباطل، ولا وقفوا على تناقضه وعدم استقراره على رأي واحد؛ فإنهم يخشى عليهم من الاغترار بكلامه لأنهم يسمعون عبارات مزخرفة، واستدلالات مموهة، لأنه يردد المعنى الضئيل بعبارات كثيرة، وأساليب متنوعة؛ ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه، من المعاني الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها، من الحث على تعلم العلوم وفنون الصنائع النافعة وما فيه من ذم الجهل وآثاره الضارة، وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور أكثر مما ذكر هذا الرجل، ولم يبيّن ما بيّنوه ولا شرح الداء الذي أصاب المسلمين حقيقة ولا كيفية الدواء.

والمقصود أن ما في كتابه من الحقائق، لم يكن أول من قالها بل لم يزل أهل المعرفة يقولون ما هو أتم منها، وإنما المنكر الفظيع والطامّة الكبرى، ترويجه بهذه الأمور على من لم يعرف الحقائق، وجعلها له كالأساس الذي يحمل منه على الدين وأهله الحملات المنكرة المتكررة.

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

مقدمة ونظرة إجمالية

في محتويات ومواضيع هذا الكتاب

من نظر فيه وتأمله حق تأمله، عرف أنه ما كتب أشد وطأةً وأعظم عداوةً ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب، وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفترٍ على الدين كافترائه، ولا حرّف أحد له نظير تحريفاته، وما صرَّح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحَمَلته كاستهزائه وسخريته، فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته؛ ثلاثة لا تُبقي من الشر شيئاً إلا تضمنته، فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه، وهو أكبر دعاية للإلحاد، ومقاومة للدين وأهله وفيه من البهرجة والتزويرات، التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين، ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشُّبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين، وزاد عليهم زيادات واستدرك أموراً لم يصلوا إليها، فإن النافين للباري الجاحدين له: كزنادقة الدهرية وفرعون وأشياعه الذين صرحوا بجحد رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهراً وعلناً، ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر، وهو أن الوجود كله واجبه وممكنه واحد بالعين، فلا ثمَّ رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق؛ الجميع شيء واحد، ثم أظهر هذا الكاتب صاحب كتاب ((الأغلال)) بأسلوب أشنع من ذلك كله، حيث زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وأن من فرّق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان، فهو غالط ضال عنده. أعداء الرسول تنوّعوا في تكذيبه فقالوا: ساحر وشاعر. وقالوا: مفترٍ كذاب؛ وزنادقة الفلاسفة قالوا: إن الرسل كذبوا لمصلحة الناس، وخيَّلوا للناس تخييلات خالية من الحقائق. وهذا صاحب الأغلال جاء بوجه آخر، حيث حلل بزعمه حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك التحليل الخبيث الباطل؛ بأنه يخلو بالطبيعة ويناجيها، وتأخذ بلبّه وعقله، ويظل ليله ونهاره، نازعاً إليها وقد افتتح بها رسالته بخلوته بها

ومناجاتها في غار حراء، وختمها به حيث كان ينزع إليها وهو في سياق الموت، ويقول: ((في الرفيق الأعلى))، فهذا التحليل الخبيث الذي لا يروج على الصبيان قد أخذه بعينه من دعاة النصارى ومضلليهم، إذ قالوا هذا القول الذي هو التكذيب المحض، فعند صاحب الأغلال ليس ثَمَّ وحي ولا مناجاة لله ولا نزول جبريل بالوحي من عند الله، وإنما ذلك خيال لا حقيقة فظن بجهله أنه بهذا الكلام المموه يسلم من الشناعة.

أعداء الرسل من الدهريين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وهذا القصيمي يقول: ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم، وتدبره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة، وأنكر قضاء الله وقدره، ورجّع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة، وهذا إنكار منه لله ولأفعاله ولصفاته؛ وكما أنكر توحيد الربوبية، فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة، ولم يرتض بما قاله المشركون، بل أنكر عبادة الله بالكلية، وأنكر الافتقار إليه، وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم وملأ كتابه من السخرية بهم، وكما أنكر الربوبية والإلهية والرسالة، إذ فسرها بذلك التفسير الخبيث

الذي يرجع إلى نفي الرسالة، فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية، وأنكر أسبابها وسَخِر بالمؤمنين بها؛ وكذلك رمى جميع طبقات الأمة، وخصَّ منهم العلماء الأعلام، وهداة الأنام، بضعف العلم والعقل والرأي، وأوجب الكفر بهم وبعلومهم، وبما قالوه وصنّفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع، وجعلهم مجرمين يستحقون العقوبة، وأهدر فضائلهم بالكلية، وأكبر من ذلك وأطمُّ، أنه باهَتَ وصرَّح بتحقير الأنبياء تحقيراً، لم يصل إليه ملحد، إذ صرَّح بأنَّ جميع الرسل والأنبياء والهداة من أتباعهم، لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من

النفع، ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدى بها،

وكما رمى الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم، ولم يستثن منهم أحداً، فإنه

عظَّم زنادقة الملحدين الأولين منهم والآخرين، وأوجب الأخذ عنهم، والحذو

على منوالهم، وحتَّم نبذ القديم الذي في مقدمته؛ الكتاب والسنة، وما عليه

الصحابة والتابعون، وأوجب أن تتخذ ثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها الدين الصحيح، ويكفر به وبحملته.

ويعتقد أن الصحابة في طور الأطفال، أو طور قريب من طور الحيوانات السذج، وأنهم لا يعلمون الأمور على حقيقتها وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وإنما العلم والفضل منحصر عنده في الأجانب الإفرنج؛ وسلك مسلك الإباحيين في التهتك والإباحة، وكذَّب ما جاء في الكتب، وعلى ألسنة الرسل، من قصّة آدم وزوجه وذريته، فزعم أن الإنسان الأول، مخلوق شبيه بالحيوان، لا يقدر على النطق ولا التخاطب بوجه من الوجوه، ثم انتقل إلى طور الإشارات، في مدد طويلة ثم بعد مدد طويلة جداً تدرّج شيئاً فشيئاً، حتى انتقل إلى طور التخاطب بالألفاظ المبهمة الساذجة.

وكذّب ما جاءت به الرسل، أن الله علّم آدم الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، واتبع سفهاء الخرافيين، وكذّب جميع النصوص من الكتاب والسنة، الواردة في التزهيد في الدنيا

والترغيب في الآخرة، وفي فضل الصبر على المصائب وثواب أهلها، واستهزأ بها وبأهلها وملأ كتابه من السخريات والاستهزاءات، وكل هذه الحقائق وما هو أكثر منها قد تضمنها كتابه المذكور، كما سنشير إليها مفصلة مشاراً إلى صفحاتها من كتابه المذكور.

فصل في محاسن الدين وإبطال شبه القصيمي

ولما كان هذا الكتاب، موجهاً إلى قلب الدين وروحه، وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله، على أعظم الحقائق وأجلّها وأنفعها، وعلى البراهين الساطعة، والأنوار المتلألئة، يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه من الشُّبُهات، ويقاومه من الأقوال الباطلة، أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكاتب؛ إلى بعض محاسن هذا الدين، وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يبطل شيئاً من أصوله وقواعده وأسسه، وأن هذا الدين العظيم، تزول السموات والأرض والجبال وأصوله راسيات، وقواعده ثابتات، وأنواره مشرقة، وبراهينه للباطل

محرقة، فهو الميزان الأعظم؛ الذي توزن به الأمور الدينية، والأمور العقلية، والأمور الدنيوية، وأبيّن عند ذلك منافاتها، لقول هذا الكاتب؛ وهذا الرجل لا بدَّ قد شعر أنَّ الناس لا يشكّون ولا يمترون، في منافاة كتابه وأقواله للدين، فتراه في مطاوي كتابه يعتذر ويدَّعي أنه مؤمن بالله ورسوله وبريء من الإلحاد؛ أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً؛ وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة، في جانب حملاته الشديدة، على الدين والحث البليغ على نبذه، وعلى سلوك طريق الملحدين؛ كيف يقبل اعتذار من هو مجدٌّ مجتهدٌ في هذه المواضيع الخبيثة الباطلة، فهل هذا إلا من باب السخرية والتمويه على الأغرار؟ ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته، من رد اعتداءاته على الدين، والتنبيه على بطلانها، كما هو الواجب المتعين على كل مسلم، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالتوبة والتنصل، ونقض ما كتبه واجترأ عليه.

واعلم أن مدار ما بنى عليه بحوثه الباطلة، واحتج لها وبرهن عليها ورددها أمران:

أحدهما: أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة، متأخرون عن غيرهم في الفنون العصرية، والاختراعات والصناعات الراقية، وعلوم الطبيعة بأنواعها.

والثاني: أن غيرهم مهر في هذه الأمور، مهارة لا تتصورها الأفكار، ثم بنى على هذين الأمرين جميع بحوثه الباطلة، ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال، وقرر في كتابه أن الدين الإسلامي، أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء في درج الكمال، وفي مقابلة ذلك حثّ ورحّب بكل ما أتى به الآخرون من مفاسد وعقائد وأخلاق وأعمال، وخير وشر، وقرر أن هذا هو الرشد والفلاح وبدء النجاح. وكتابه كله يدور على هذا الأصل الذي يعرف كل من له أدنى بصيرة أنه بنيان على شفا جرف هار، وأن أقل نظر يوجه إليه، وأقل برهان يقابله، يبطله وأن هذا الاستدلال، هو بالترهات والبهرجات أولى منه بالحقائق الثابتة؛ فإذا تبين بطلان أصله، الذي بنى عليه جميع بحوث كتابه، بطل كل ما بنى عليه، فنشير هنا إلى هذا ثم نتتبع ما اشتمل عليه كتابه من المواضيع الفاسدة (فنقول) :

الدين الإسلامي هو دين العدل والرحمة والعلم والحكمة، وهو دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح وصلاح الدين والدنيا، وعلى السعي إلى الكمال والرقي في معارج السعادة والفلاح، وهو الدين الذي حثّ على كل خير ونَفْع وصلاح وإصلاح، وهو الدين الذي ساوى بين طبقات الخلق في القيام بالعدل والحقوق، فلم يبح الظلم بوجه من الوجوه؛ فالغني والفقير والشريف والوضيع والقوي والضعيف والعزيز والذليل، كلهم عنده سواء، قد شملهم عدلُه ورحمتُه، وهو الدين الذي يحث على القيام بما خلق الله الخلق لأجله، وهو عبادة الله وحده والإنابة إليه، والتعبُّد له ظاهراً وباطناً ودوام الافتقار إليه، وهو الدين الذي يأمر بجميع معالي الأخلاق ومحاسنها، وينهى عن جميع مساويها وأراذلها، وهو الدين الذي تصلح به الأحوال؛ فكما حثَّ على القيام بإصلاح الدين فقد حثَّ على القيام بمصالح الدنيا النافعة، وكما أمر بتعلم العلوم والفنون التي ترجع إلى الإنابة إلى الله وعبوديته، فقد حث على تعلم العلوم والفنون، التي تعين على قيام حياة الأمة، وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى، ومغالبتها والوقاية من شرورها وأضرارها، وكما أمر بتعلم علوم التوحيد والعقائد

والأخلاق، التي ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح فقد أمر بالتعلم والتفقه في الأحكام، التي ترجع إلى القيام بالعبادات الظاهرة والمعاملة العادلة، والقيام بجميع الحقوق المتنوعة، على وجه الوفاء والعدل وموافقة الحكمة، وكذلك أمر بتعلم الفنون الحربية والآداب العسكرية، والاستعدادات السياسية والصناعات النافعة، فقال تعالى في جانب مقاومة الأعداء ومهاجمتهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا شامل لكل ما تتعلق به الاستطاعة، من أنواع العلوم والفنون العسكرية الموجودة في وقت التنزيل، والتي تحدث إلى يوم القيامة، من قوة عقلية وسياسية داخلية وخارجية، وصناعات نافعة وتعلم رمي وركوب، وسائر الفنون التي لا تتم مقاومة الأعداء إلا بها، وقال في جانب المدافعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] فأمر المؤمنين بأخذ حذرهم من عدوهم، وهو التَّوقِّي والوقاية والاحتماء من عدوان الأعداء، بكل وسيلة وسبب تحصل به الوقاية من شرهم ومكائدهم وأسلحتهم ومداخلهم ومخارجهم؛ وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأزمان.

وكل آية أو حديث فيه الأمر بالجهاد والحث عليه، فإنه يدخل فيه القيام بجميع الشؤون التي تعين على الجهاد، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأمكنة، وهذا من البراهين، على أن هذا الدين والشريعة، تنزيل من حكيم حميد عليم بكل شيء، فإن إرشاداته العالية كما ترى تصلح لكل زمان ومحل؛ بل لا تصلح الأمور إلا بها.

وكما أنه أمر بالاستعداد بالقوة المادية، فقد أمر بالاستعداد بالقوة المعنوية، حيث أمر الناس وحثَّهم على الاجتماع والألفة بين المسلمين، والاتفاق على جميع مصالحهم الكلية؛ كما أمر بذلك في المصالح الجزئية، في كل ما يأتون وما يَذَرُون، في أحوالهم الداخلية وأحوالهم الخارجية، وأمرهم بالإيمان الكامل والتوكُّل القوي على الله، وتمرين النفوس على القوة والشجاعة، والتدرب في كل أمر نافع في الدين والدنيا؛ فالدين يحثُّهم على القيام بجميع الأسباب النافعة، التي

تصل إليها قواهم واستطاعتهم، وعلى التوكل على مُسَبِّب الأسباب وخالقها ومدبِّرها، ويبين لهم أن الأمرين متلازمان، لا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فالأسباب وإن عظمت وقويت فإنها

محكومة بقضاء الله وقدره، ولا يتم للقائم بها أمره من كل وجه إلا بتوكله واعتماده على الله تعالى، مسبِّبها ومصرِّفها والقابض على ناصيتها وأزمتها.

ويخبركم الدين مع ذلك أن التوكل وحده، بدون فعل الأسباب، وبدون القيام بالمقدور من الشؤون الدينية والدنيوية، ليس بتوكُّل حقيقي، بل هو ضعف وعجز، فكلما قوي توكُّل المسلمين على ربهم، قويت أعمالهم النافعة، وقويت هممهم، وانبعثت عزائمهم إلى جميع مصالحهم، والربُّ تعالى لقيامهم بالأمرين وتحقيقهم للتوكل عليه واجتهادهم في فعل الأسباب، يعينهم وييسر لهم أمورهم، ويحقق لهم رجاءهم وينزِّل عليهم من نصره ومعونته وتأييده، بحسب قيامهم بالأمرين؛ والنصوص من الكتاب والسنة، تحثُّ على الأمر بالتوكل على الله في كل الأمور، والأوامر بالأخذ بجميع الأسباب النافعة، لا تنحصر، بل الدين كلُّه قيامٌ بالأسباب، وتوكل على مسببها ومصرفها. وهذا الذي نبَّهنا عليه من الدين الإسلامي هو من الكمال الذي لا يقاربه كمال، ويسقط به ويضمحل قول هذا الكاتب الذي يقول: إن الإيمان بقضاء الله وقدره، والتوكُّل على الله يوهن المسلمين

ويضعفهم، وأنه يجب عليهم ترك ذلك؛ وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر، كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٢٩) و (٢٦٨) و (٣١٥) من كتابه، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقةً المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمه؛ هم المتوكلون على الله حقيقةً، وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب، امتثالاً لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم، واستمداداً من قوته وارتقاباً لثوابه، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقين الذميمين: طريق العجز والضعف؛ الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله، وإنما هو مهين ساقط الهمة، معتذر بما لا يعذر به، وطريق الملحدين المعطلين، الذين يعتمدون على الأسباب ويرونها مستقلة؛ منقطعة عن قضاء الله وقدره، وأن الله لا يتصرف في الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها، كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثنايا كتابه خصوصاً في الفصل الأخير المعنون بـ: (مشكلة لم تحل)، وهذا هو التعطيل المحض والنفي لربوبية الله ولأفعاله، وهو في الحقيقة مذهب الدهريين الطبائعيين الجاحدين لله بالكلية.

وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين في هذا؛ الذين يقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، المنكرين للثواب والعقاب، حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب للثواب العاجل والآجل، وأن الكفر والفسوق والعصيان، أسباب للعقوبات العاجلة والآجلة، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له؛ كما صرَّح به ورده في الصفحات (٣٥) و (١٦٥) و (١٧٨) و (٣١٥)، و (٣١٩) و (٣٢٥) والسبب الوحيد عنده في المصائب الدنيوية وضدها، إنما هي الأسباب المادية فقط، وعمل الطبيعة. ثم لم يزل يقرر هذا الأصل الخبيث، حتى زعم أن الإيمان بالله وباليوم الآخر، يمنع الرقي، ويمنع كون العبد سبباً محضاً منتفعاً بأعماله، وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح، وأن الأديان السماوية أكبر المصائب على البشر.

وقولٌ وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الكفر، وإنما هو النهاية في الكفر والتعطيل، والجحود لرب العالمين، والخروج من الديانات السماوية كلها، وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هي أكبر القضايا وأعظمها وأوضحها وأجلاها براهين وأدلة، وإثبات أنه هو

الفعال لما يريد الخالق لكل شيء الذي يدبر الأمور كلها، ويكرم الطائعين، ويعاقب العاصين، فلا ينكر ذلك إلا مكابر مباهت منحل من العقل الحقيقي، بعد انحلاله من الدين، والمقصود أن صاحب الدين الصحيح؛ هو أقوى الناس توكلاً على الله

تعالى وعملاً بالأسباب النافعة، لأنه يعلم أن دينه يحثه على ذلك، وقد استصحب التوكل على الله والثقة به، وأن الله لا بدَّ أن يتم أمره، وخصوصاً الأسباب

الدينية، والأسباب المعينة على الدين، فإنها من الدين في الحقيقة لأن الدين هو جميع ما دلَّ عليه الكتاب والسنة مطابقة والتزاماً وتضمناً، فهذا الدين لم

يدع خيراً إلا دعا إليه، ولا منفعة إلا حثَّ عليها، ولا طريقاً يوصل إلى إصلاح الأحوال الدينية والدنيوية النافعة إلا رغَّب فيه، ولا مفسدة وشراً وضرراً

إلا حذَّر منه، وأمر بأخذ الوسائل الواقية والدافعة له، فيا ويح هذا الكاتب

القصيمي الذي زعم هذا الزعم الباطل؛ أنه مانع من التقدم والرقي

ومجاراة الأمم الراقية في الحياة، وهل رقت هذه الأمم وسبقت غيرها

في الاختراعات والفنون الصناعية المدهشة، إلا بعد ما أدخلت عليها

تعليمات هذا الدين، واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين،

بعد الحروب الصليبية وغيرها؟ ألم يكونوا في غابر الزمان والقرون،

التي يسمّونها القرون المظلمة في غاية الجهل والوحشية والهمجية في معرفة هذه الفنون والصناعات؟ ألم يكن المسلمون وقت قيامهم الحقيقي بهذا الدين هم سادات الخلق، الذين قهروا بفضل دينهم وأخلاقه وتعاليمه العالية جميع الأمم، وحطموها وأفنوا صروح أكبر دول الأرض يومئذٍ؟ ألم تكن مدنية الدين الإسلامي هي المدنية الزاهرة الحقيقية، حيث كان

روحها الدين والعدل والرحمة والحكمة؛ وقد شملت بظلها الظليل، وإحسانها المتدفق؛ الموافق والمخالف والعدو والصديق؟ فهل أخّرهم دينهم ومنعهم الرقي الحقيقي؟، وهل نفع الآخرين كفرهم بالله وبربوبيته وإلهيته في تلك القرون الطويلة، إذ كانوا هم الأذلين المخذولين في مواقف الحياة، كما زعم هذا الكاتب الذي يهرج على من لا يعرف الحقائق؟

ثم لما ترك المسلمون الاستمساك بتعاليم دينهم وتفرقوا شيعاً، وارتقى الأجانب في علوم المادة وفنون الصناعات والاختراعات ووصلوا إلى أمر لم يسبق له مثيل، فهل أغنت عنهم هذه المدنية وهذا الرقي؟ وهل وقتَهم الشرور، إذ كانت مدنيتهم مبنية على الظلم والجشع والطمع المفرط وطلب استعباد الخلق، ولم يكن معها من روح الدين ورحمته شيء؟ فهل ردت عنهم هذه الملاحم والمجازر البشرية والإهلاك والتدمير، الذي لم يسبق له نظير ولا مقارب في تاريخ الخليقة؟ وهذا من أكبر البراهين، على أن الرقي في هذه الحياة، إذا خلا عن الدين الحق، صار ضرره أكبر من نفعه، وشرّه أكثر من خيره، إذا كان فيه خير، كما زعمه هذا الكاتب.

فلو كانت هذه الأمم الراقية في الفنون العصرية معهم دين صحيح، وبنوا حضارتهم على الرحمة والعدل والحق والتسوية بين الخلق وبين الأمم القوية والأمم الضعيفة، في الحقوق فما ظنك أن تصل بهم هذه الحضارة؟ وما ظنك بما ينكف بها من الشرور العظيمة التي جرت وهي جارية وستجري ما داموا على حالهم؟

أما تأخر المسلمين الآن في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات وأشباهها فليس هذا التأخر منسوباً إلى دينهم، فليس في دين الإسلام أصل من الأصول أو فرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه، وإنما الأمر بالعكس، كما تقدم التنبيه عليه بأن الدين الإسلامي قد جمع بين المصالح الدينية والدنيوية، وحثَّ على جميع المنافع وعلى الأعمال النافعة والعلوم النافعة، عكس ما رماه به هذا الكاتب من الجمود والتأخر ومنافاة الحضارة والتقدم وخدمة الحياة بزعمه، وإنما السبب الوحيد الذي أخّرهم في هذه الفنون، هو ترك الاستمساك بروح الدين ومقوماته، وترك الأخذ بما يحثُّ عليه من الاجتماع والائتلاف واتفاق الكلمة، والتشاور في

الأمور كلها، وترك الأغراض الشخصية للمصالح الكلية، وبتركهم الجهاد القولي والبدني والمالي، وهو مقاومة الأعداء بكل وسيلة تناسب الزمان والمكان بحسب الاستطاعة؛ فالدين يحث على الأخذ التام بهذه الأمور التي لا قوام للأمم بدونها وهم كسلوا وغفلوا عنها علماً وعملاً، وأهملوا مصالحهم ومالوا إلى الترف والدِّعة والرضوخ والاستعباد للأجانب، فلما رآهم الأجانب بهذه الحالة المؤلمة لعبت بهم سياساتهم وفككتهم وفرّقتهم زيادة على ما اتصفوا به من التنافر والاختلاف، وعلى ما زهدوا فيه من الجهاد ومقاومة الأعداء، واستعبدوهم بكل حيلة وحللوا معنويتهم وروحهم الدينية وصاروا يضربون بعضهم ببعض ويقيمون لهم من جنسهم ومن بني قومهم ممن يتسمى بالإسلام من يقيم الدعايات الباطلة، في تزويدهم من هذه الحال الحرجة وممن يفتّ في أعضادهم ويخدر أعصابهم، ويسعى بكل مقدوره في تأييسهم من

التقدم وفي إماتة همهم؛ كما ترى هذا الكاتب الذي توسل باسم الدين والغيرة

على المسلمين، وسعى في نبذ الدين ومحاربته بهذه الطريقة التي أربت

على طرق المنافقين؛ وزعم من بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين، وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم، وغير ممكن لهم ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم؛ كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٣٦) و (٦٨) و (٦٧) و (٧٧) و (٩٧) و (١٤٠) و (٣١٥) من كتابه، وهذه دسيسة خبيثة، فإن كان أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم، أن هذه المباحث التي اشتمل عليها كتابه منافية للدين بالكلية ومناقضة له من كل وجه، ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول المفترون: ليس دين الإسلام، ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم، وإنما هو شيء آخر مجهول عندهم، وقد علمه هذا الكاتب، وهو ما أراده وسعى إليه من معانقة دين الملحدين، ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين.

ثم إن هذا الكاتب لم يكفه أن يقدح في هؤلاء المتأخرين من المسلمين، بل وصلت به الحال إلى أن قدح في خير القرون؛ وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين والهدى، حيث زعم أنهم لم يفهموا من دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، وأن معارفهم وعلومهم النافعة كلها، بالنسبة إلى معارف المستأخرين من الملحدين، كنسبة معارف الأطفال إلى

العقلاء الراشدين أو أقل من ذلك، وحثَّ غاية الحث على رفض مقالات

هذه القرون المفضلة، وأنه يجب تعليم الناس الكفر بهؤلاء الأئمة

وبمعارفهم وفضائلهم وما قالوه وعملوه أو ورثوه، وتهكم بمن يدعو إلى

الأخذ بما أخذ به الأولون؛ وملأ كتابه من هذه المواضيع الخبيثة

والوقاحة والجراءة التي لم يرتكبها غيره كما صرح به في صفحات (١٤) و (١٦) و (٢٩) و (٦١) و (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٦٩) و

(٧٠) و (٨٥) و (١٢٠)

و (١٤٠) و (١٧٠) و (٢٩٣) و (٢٩٦) و (٢٩٨) و (٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٨) و (٣١١) و (٣١٥). فيا ويحه ما أخسر صفقته وأقل حياءه، وهل يشك أحد أو يرتاب مسلم أو منصف، ولو كان من غير المسلمين أنه لم يوجد ولن يوجد أحد أكمل علماً وفضلاً وأخلاقاً وعدلاً ورشداً وعقلاً وكمالاً في كل الخصال العالية من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؟ وأنه ما وصل لأحد غيرهم خير وفضل وعلم إلا على أيديهم؟ وقد كذّب في كتابه هذا ما كتبه عنهم في كتبه السابقة، وقد شهدت الأمم الأجنبية بكمال فضلهم وشمول رحمتهم وعدلهم؛ قال جوستاف لوبون فيلسوف فرنسا الشهير: ((ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب)).

وكانوا إذا فتحوا البلدان، وجرت عليها أحكامهم العادلة وشفقتهم على بني الإنسان، امتلأت قلوب الأجانب من محبتهم، وتمنوا دوام ملكهم وسلطانهم، واختاروهم على قومهم وأهل دينهم؛ مع أن النفوس مجبولة على التعصب، لما ألفت من الأديان والأوطان والأنساب والمذاهب؛ فلولا أنهم رأوا من رحمتهم وعدلهم، ما لم يشاهدوا له نظيراً، لم يخضعوا كل

هذا الخضوع، ويعطوا ما بأيديهم مذعنين راغبين غير مقهورين على إرادتهم، فإنهم يجدون الفرص الكثيرة لحدوث الثورات، ولكن الرحمة والعدل من المسلمين، أوجبا لهم السكون والطمأنينة، لظلِّ هذا الدين القويم؛ وهذا الكاتب يعلم حق العلم أنه كذّب نفسه بنفسه وأنه ناقض في كتابه هذا ما كتبه في كتبه السابقة، ولهذا جعل يندب نفسه ويندم ويتحسر وينوح على زمانه الماضي، وكيف قضاه في عبادة الله ومتعلقاتها؛

لأنه لا يجهل أن الناس يعرفون منه هذه الحالة، ولهذا كان الكلام معه في

هذا الكتاب، لا يشبه الكلام مع المبتدعين من المسلمين، الذين يعظمون

الدين ويؤمنون بالله ورسله، وإنما يتكلم معه كما يتكلم مع الأجانب عن الدين والكافرين به، ويناظر كما يناظرون لأنه في كتابه هذا كشف الغطاء وصرح بالعظائم الكبرى المنافية لدين الإسلام بالكلية.

ثم إن هذا الكاتب يزعم أن تلك القرون المفضلة، التي لم يشاهد الناس لها مثيلاً في الجلال والجمال والكمال، لم تبلغ رشدها بل

هم في طور الطفولة، وعنده أن الرشد والكمال المفضل منحصر في الماديين من الملحدين؛ كما صرح به في تلك الصحائف آنفة الذكر؛ والسبب الذي أداه إلى هذه المقالات الجائرة المنحرفة، أن الفضل منحصر عنده في شيء واحد، وهو عبادة الطبيعة ووجوب إعطائها القلب والقالب والظاهر والباطن، والانصراف بالكلية إلى هذه الحياة فقط، والتمتع بزهرتها، والانحلال عن القيود الدينية، وإباحة جميع ما تشتهيه النفوس، وإطلاق العنان لها؛ كما أطال في هذا الموضوع وردد فيه الكلام الساقط، ثم في مقابلة ذلك التحامل على كل ما يعارض هذا الطريق والتهكم بالدين وحملته، فإذا كان هذا هو الكمال عند هذا المنحرف، لم يستغرب بعد هذا قدحه في خير العالمين، وسخريته من علومهم وأخلاقهم وأعمالهم، وما هم عليه في جميع الأحوال، فصار منطبقاً عليه وعلى أمثاله غاية الانطباق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣] ولهذا ارتكب العظائم في تحليله لحياة النبي صلّى الله عليه وسلّم وشخصيته الكريمة، بكلام طويل مردد كقوله: ((كان يعبد الطبيعة، وأنها قد أخذت بقلبه وقالبه ولبّه، وأنه كان يناجي

الليل والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها مما يشاهد، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة والخلوة بها في غار حراء، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السياق حيث كان يقول: ((في الرفيق الأعلى)).

وهذا بعينه قد أخذه من دعاة النصارى المفترين، الذين لما بهرهم ما جاءهم به محمد صلّى الله عليه وسلّم من الدين الحق والتعاليم العالية والرقي الكامل والفتوح الباهرة والآثار، التي لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق، طفقوا يموهون على الناس ويحللون حياته صلّى الله عليه وسلّم تحليل أحد رجال الطبيعة، يعني الذين لا يؤمنون بالله وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بله الدار الآخرة، وما وراء المحسوسات والملموسات، فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث، وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل؛ ورمى النبي صلّى الله عليه وسلّم بأنه طبيعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي، فلم ينزل عليه جبريل من عند الله، ولا كان يناجي الله ولا يعبده، ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط، لأنه لا يعرف الله ولا يريده ولا يحبه ولا يطلبه، عند هذا الكاتب الذي تجرأ على ما لم

يتجرأ عليه من يتسمى بالإسلام من الملحدين. ولا تستغرب هذا عليه فإنه سيأتي أنه صرح تصريحاً لا تردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم، وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه، فمن كانت هذه وقاحته وتصريحاته، فلا يستبعد عليه شيء؛ وظهر بهذا غرضه الوحيد، وهو الدعاية البليغة إلى نبذ الدين وأصوله ومحاربته بكل طريق. ومن فضل الله أن طريقته في كتابه قد عرفها الناس، وعرفوا ما ترمي إليه من الغايات، وعرفوا الأيدي المحركة لها، ويأخذهم العجب الكبير؛ كيف صار هذا الرجل بعد سوابقه، فريسة لأعداء الدين، وآلة لهم صماء في طريق مآربهم ومقاصدهم؛ فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين،

وأن لا يزيغ قلوبنا بعد الهداية. والمقصود أن هذا الكاتب جعل الفضل كله في جانب الأجانب الكفار، ولم يدر ـ أو درى وتجاهل، وهو الأحرى

بمثل هذا الرجل ـ أن الفضل الحقيقي هو السعي في طرق الكمال،

والتخلق بكل خلق جميل، والتنزه عن كل خلق رذيل، وهو الفضل

الذي يرقي القلوب والأرواح، ويوصل أهله إلى أعلى الغايات وأشرف السعادات، الذي أصله وأساسه العقائد القلبية المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والأعمال القلبية التي مدارها على الإنابة إلى الله، وانجذاب دواعي القلب كلها إلى الله رغبة ورهبة ومحبة وخوفاً ورجاء وقصداً وطلباً وتعبداً وتألهاً وإخلاصاً صادقاً لله وحده لا شريك له.

ثم القيام بالشرائع الظاهرة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام والجهاد في سبيل الله، وما يتبع ذلك من القيام بحقوق الوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والمعاملين وتوفية الحقوق كلها بالعدل والإنصاف وعدم الظلم والجور على القريب والبعيد والعدو والصديق، وبذل الجهد بالقيام بكل ما يعين المسلمين على أمر دينهم، والاستعداد الكامل لمقاومة الأعداء، والسعي في جمع كلمة المسلمين، ومحبة الخير لهم وتحصيله بكل مقدور، فإذا كان هذا هو

الفضل الحقيقي، وهو كذلك؛ فقد علم كل من له أدنى تمييز، أن للصحابة والتابعين لهم بإحسان، من هذا أوفر الحظ والنصيب، وأن الصحابة رضي الله عنهم فوق جميع طبقات الأمة، في كل فضل وعلم وعمل، كما أن الأمة أكمل الأمم في كل فضل وخير، وأكمل الأمم المنتسبة إلى الأديان، فكيف بالأمم المنحلة المعطلين لرب العالمين، الذين انحلوا من عبادة الرحمن، فعبدوا الطبيعة، فتبّاً لمن آثرها بظاهره وباطنه، على الله بئس للظالمين بدلاً. وزعم هذا الكاتب أن التقيد بالإيمان بالله، وبما أخبر الله به على ألسنة رسله قيد وغل، يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة، ويقيده عن عبادة الطبيعة، التي هي الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه، أن يكون أول من يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨] وفي قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [هود ١٥] إلى آخر الآيات.

ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين، الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة، يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد، وكرر ذلك مريداً بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده، كما تجده في صفحات (١٦) و (٣٧) و (٦٤) و (٦٩) و (٧٠) و (٩٦) و (١٦٠) و (٣٠٢) و (٣١١) من كتابه وغيرها من الصفحات؛ وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها، الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان والانحلال، من قيود الدين وحلّه وتحريمه وجميع أحكامه، والانخراط في سلك المعطلين لرب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين، وأول ما يدخلون في هذا الأصل الباطل رفضُ ما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أصولٍ وأخلاقٍ وأعمالٍ وغيرها، وتوصلوا بهذا إلى الطعن في خير القرون وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم، والحمل على حَمَلة الشريعة وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، كما أشرنا إلى الصفحات الموجود فيها ذلك.

ثم إن هذا الكاتب بهرج على من لم يعرف الحقائق، بالاستدلال بأحوال المنحرفين من الصوفية والخرافيين، ومن تسمَّى

بالدين وهو منه بريء، وأورد من خرافاتهم وخزعبلاتهم، ما يُظَنَّ أنه يروِّج به باطله، حيث نسبه إلى حملة الدين، وهو يعلم حق العلم، أن الدين وأهله الذين هم أهله؛ هم أبعد الناس عن هذه الخرافات، وأعظم المنكرين لها، وأنهم يبرؤون منها، وينزهون الدين الإسلامي عنها، فكيف لا يستحي أن يستدل بأحوال ابن عربي، وخرافات الشعراني، وشطحات المتصوفة، على الدين وأهله ويتوسل بذلك إلى القدح في الدين وحملة الدين، وهو يعلم حق العلم أن الإسلام بريء من هذه الأمور والشطحات والخرافات، فكيف لا يستحي من هذه البهرجة والتناقض، أيظن الناس كالبهائم العجم التي لا تفهم شيئاً، أم سحر عقله فصار يهذي بالباطل وبما يغلي به صدره من الغل والإلحاد؟ ألم يعلم أن الدين وأهله الذين هم أهله الذين عرفوا الحقائق، وميَّزوا بين الحق والباطل، والمحقين والمبطلين ينفون عنه انتساب كل مبطل كما ينفون عن حقائقه كل باطل، وأن المبطل لا يروج أمره عليهم بمجرد انتسابه إلى الدين؟ فكم انتسب إلى الدين، من الزنادقة والمشركين والمنافقين، من هو شر من اليهود والنصارى، فمن احتج بأحوال من انتسب إلى الدين وأهله، فهو من المزورين المبهرجين، وكذلك من احتج

بالآثار والحكايات الباطلة على الدين، فهو مفتر كذاب؛ كما فعل هذا الكاتب، وملأ كتابه من الخرافات والحكايات الكاذبة، ونسبها لأهل الدين ليتوصل بذلك إلى القدح فيه وفي أهله، والدين كما يعلم كل من له بصيرة؛ أنه نقي خالص حق في أصوله وفي فروعه وفي أخلاقه وآدابه، وتعاليمه جميعها في غاية العلو والسمو والمكانة العالية، التي لو اجتمع جميع العقلاء أن يقترحوا أحسن منها، أو ما يقاربها لعجزت أفكارهم، وقدرتهم عن ذلك، لأنه تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويعرف هذا بتتبع أصوله وفروعه ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] أي يهدي لأصلح الأمور من العقائد والأخلاق والآدب والأعمال للأسباب وغيرها، فليأت هذا الكاتب أو غيره بمثله إن كانوا صادقين، فإن الدين الإسلامي قد فصَّل الحقائق، وبيَّن المناهج الصحيحة والطرائق، وميَّز بين الحق والباطل، وبيَّن أولياء الرحمن من أولياء الشيطان، وبيَّن الخير والشر، وبيَّن العلوم النافعة التي تنفع الخلق في دينهم ودنياهم من العلوم الضارة التي هي بضد ذلك، وهذا الرجل يدعي أن العلوم كلها نافعة، وليس فيها شيء

ضار بوجه من الوجوه، والله يقول: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالدين هو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال، ويعرف به الطيب من الخبيث، والنافع من الضار، فمن رفض من هؤلاء الملاحدة القديم، وعنى به هذا الدين الحق، فإنه في حقيقة الأمر قد رفض جميع الحقائق الثابتة، ورفض العلوم والأعمال النافعة؛ فمن أين لهذا النشء الحديث علوم نافعة، وأعمال نافعة، إلا من معين هذا الدين؟ من أين لهم أن يعرفوا رب العالمين بأسمائه وصفاته، الذي هو أجلّ المعارف وأكبرها وأصلها؟ ومن أين لهم أن يوحدوه ويؤمنوا به، وبما جاءت به الرسل إلا من هذا الدين؟ ومن أين لهم أن يقوموا بحقوقه، وحقوق خلقه العادلة الفاضلة، ومن أين تأتيهم إلا من هذا الدين؟ ومن أين لهم أن يهتدوا للأخلاق الجميلة، ويتنزهوا عن الأخلاق الرذيلة إلا من هذا الدين؟ ومن أين لهم أن يعرفوا الصراط المستقيم المحتوي على الحق علماً وعملاً، إلا من هذا الدين القويم؟ ومن أين لهم معرفة الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، والعقود والعهود، والشروط والحدود والمواريث

وتوابعها إلا من هذا الدين؟ ومن أين لهم الطريق الذي أدركوا به تعلم الصناعات، وأنواع الفنون والمخترعات النافعة، إلا بعد أن نشر هذا

الدين ظله على الخلق، فأشرقت على الأرض أنواره، فاقتبس من هذا النور،

كل أهل علم نافع في الدين والدنيا، كل أحد بحسب مشربه؟ فإن هذا الدين

هو الذي أسّس أصول الصناعات وقواعدها النافعة، وأمر بها حيث يكون

فيها مصلحة للدين ومنافع للناس كافة، كما تقدمت الآية الكريمة: وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال: ٦٠] وقوله: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] وامتَّن على الإنسان بأن علَّمه ما لم يعلم من جميع العلوم والفنون النافعة، فهذه علوم

الشريعة على وجه التنبيه والاختصار كما ترى، هل بقي علم نافع إلا دخل فيها؟ وهل بقيت معارف يحتاج الخلق إليها في أمور دينهم ودنياهم، إلا احتوى عليها؟ وهل ندّ عنها وسيلة وسبب وطريق، من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها؟ فإذا رفض هؤلاء الملحدون القديم، وعنوا به دين الإسلام فقد رفضوا جميع الأمور النافعة فأي شيء يبقى بأيديهم يؤسسون عليه علومهم وأعمالهم؟ فهؤلاء الذين يذمون القديم ـ ومؤلف كتاب الأغلال حامل رايتهم ـ مرادهم بذلك التوسل إلى رفض الدين الإسلامي بل صرحوا بمرادهم، ومع ذلك فهم كذبة يتناقضون، في هذا الإطلاق، فإنهم يذهبون إلى تقليد أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من ملاحدة الأولين والآخرين، فهؤلاء وإن كان لهم مهارة في علوم المادة المحضة، فإن كلامهم في الدين وأصوله أضعف بكثير من كلام أدنى طلبة العلم الديني، كما هو معروف من أحوالهم.

ومن أراد الوقوف على جهل هؤلاء الذين عظَّمهم هذا الكاتب،

فلينظر إلى المناظرات بين أقوالهم وأقوال أئمة الإسلام، ولينظر إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خصوصاً العقل

والنقل الذي وضَّح به

بالبراهين العقلية، فضلاً عن النقلية جهلهم البالغ ومعارفهم الضئيلة، في

أصول الدين، وضلالهم العظيم فيها، وإنما الذي رفع شأنهم عند أتباعهم، معرفتهم في علوم الطبيعة، الذي يشترك فيه البرُّ والفاجر، فهؤلاء وأمثالهم يقدّمهم

هذا الكاتب، على ما جاءت به الرسل، ويقدمهم بلا خوف ولا خجل، على ما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم وما ذهب إليه الصحابة والتابعون وأئمة

الدين والهدى؛ وحسبك بقولٍ هذا منتهاه؛ وهذا حاصله بطلاناً وفساداً وجهلاً وضلالاً، بل مكابرة وعناداً؛ وهذا الكاتب سلك في نصر هذا المذهب

الخبيث مسلك الأجانب؛ أي الأجانب عن الدين يريد أعداءه ورافضيه، الذي ليس الغرض منه إلا إضلال الخلق، وهو كما ترى منافٍ للعقل والدين، أما الدين فلا يمتري فيه أحد كما نبهنا عليه، وأما العقل فإن العقل والدين متآزران، لا يردُ الدين بما

ينافي العقل الصحيح، ولا يمكن أن يرد شيء معقول مقطوع به يخالف الدين بوجه من الوجوه، وقد أخبرناك بأن الدين قد نبّه على الأصول النافعة كلها، وإن نهاية ما فعله المتأخرون هو ترقية الصناعات وتفريع المخترعات والمهارة العظيمة من أمور الطبيعة، التي كانت أصولها يتناقلها الخلف عن السلف؛ ثم إن هذا الكاذب موّه على الناس، وزعم أن الذي أوصل هؤلاء المتفننين في العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين، وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية، فضلاً عن المصالح الدينية، وإنما الذي أوصلهم إلى الترقي في هذه الفنون، جدَّهم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار في تعلمها وإدراكها وتفريعها وترقيتها، وقد تقدم لك أن الدين الإسلامي، يحث على تعلم كل نافع منها، ويأمر بكل علم يعين الأمة، على مقاومة الأمم ويوصلها إلى مصالحها، فمن استدل بتفوق الأجانب في علوم المادة، على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم، فهو من أجهل الخلق، وأبعدهم عن المعارف بالكلية، أو مغرر مموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق، كما هو دأب هذا الكاتب الذي يسعى فيه.

ومن تمويهاته الشنيعة، التي يريد بها محاربة الدين وأهله، أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب، ويطلبونها ويسعون في تحصيلها بكل طريق، ويسخر منهم،

ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر

والأمراض وأنواع المصائب، كما صرح بذلك في صفحات (١٢٦)

و (١٤٠) و (٣١٩) وكذلك جميع النصوص الدالّة على ذلك من الكتاب

والسنة، وهذا من باب قلب الحقائق؛ فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامي، حيث أرشد أهله إلى التربية العالية، التي هي أنفع التربيات وأجلّها وأكثرها آثاراً حميدة، فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة، في فضل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن، التي لا بدَّ للخلق كلهم منها في هذه الدار، وذكر فضائل الصابرين، وما لهم من عند الله من الثواب، وذلك ليوطنوا أنفسهم، على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى إلى

فقر، ومن يسر إلى عسر، ومن بأساء وضرَّاء، إلى خير وسرَّاء، ومن عافية إلى مرض، ويعلمهم كيف يتلقون هذه الأمور الملازمة للبشر، في أطوار حياتهم، فهي من ضرورات الحياة والوجود، وأمرهم أن يتلقَّوُا النِّعم والخيرات، بالشكر والاعتراف بنعمة المنعم، وصرفها في الأمور النافعة، في أمر الدين والدنيا، وعدم الطغيان والبطر فيها، وأن يتلقوا المكاره والمصائب بالصبر والاحتساب والرضى، بما مَنّ المولى، والرجاء لثوابها العاجل والآجل، فهم يتقلبون في أحوالهم كلها مسرورين مغتبطين، إن أصابتهم سرَّاء شكروا، وقاموا بحق المنعم، وصرفوها فيما يعود عليهم بالنفع عاجلاً وآجلاً، وإن أصابتهم الضرَّاء صبروا وتضرعوا، فهم أقوى الخلق، وأجلدهم عند المصيبات

والمكاره، التي لا يسلم منها بر ولا فاجر، بلْ كثير منهم يتلقونها

بالرضى والطمأنينة والشجاعة التامة وعدم الكراهة، حيث تخور عزائم المنحرفين عن الدين، عند المصائب، ويجري لهم من التسخطات والجزع والهلع

والآلام القلبية والزلازل الروحية والفظائع والفجائع، التي قد توصلهم

إلى الانتحار، الذي يبرهن على ضعف النفوس وخورها، وأنه بلغ معها

المكروه مبلغاً لا تصبر معه على الحياة، فقارن بين هذه الحال الفظيعة؛

وحالة المسلمين القائمين بوظائف دينهم، تجد الفرق العظيم بين النفوس

والهمم القوية من المهينة، ويشهد بذلك قوله تعالى: إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هلوعا إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًاوَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًاإِلاَّ الْمُصَلِّينَ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ ـ ١١].

وتعرف بذلك أن النصوص التي فيها فضائل الفقر والفقراء والأمراض والمصائب المتنوعة، والحثُّ على الصبر والمرض وبيانُ ما في ذلك من الثواب، لقصد حث النفوس على مقابلتها خير مقابلة، وأن ذلك من محاسن دين الإسلام؛ حيثُ يُمَوِّه هذا الكاتب؛ أنَّ نقل أهل العلم وهداة الأمة هذه النصوص، تدل على سوء حال المسلمين، وأنهم بذلك يسعون ويطلبون هذه الأمور بجدّهم؛ وهذا من التمويه الذي لم يصل إليه أحد من الأجانب، فأين دعواه أنه ينصر الدين، وهو من أكبر المحاربين له؟ ولقد علم كل أحد أن هذه النصوص، قُصِد بها تربية المسلمين، على مجابهة هذه البلايا بصدور منشرحة ونفوس مطمئنة، وكلُّ عارف بدين الإسلام، يعرف أنه يأمر بالأخذ بجميع أسباب الصِّحة؛ من تدبير الأغذية والنوم والنظافة الإيمانية والحركة الرياضية ونظافة الأبدان والثياب والفرش

والمساكن وغيرها، حيث يَدَّعي هذا الكاتب عكس ذلك، فليأتنا بمثال واحد ونصٍّ واحد من الدين، يدل على ما قاله من رميه الدين وأهله بالدَّنس والوسخ

والأخلاق والآداب المزرية؛ فيا ويحه ما أعظم جرأته، وكذلك هذا الدين

يحثُّ على التداوي إذا وقعت الآلام، ويخبرهم الشارع أنه ((ما من

داء إلا وله شفاء ودواء، علمه من علمه وجهله من جهله))؛ لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام، ويظنون أنه لا دواء لها فإنهم إذا علموا أن لها دواء جدُّوا في تعلمه وطلبه، وكذلك المسلمون يسعون في دفع مضرات الفقر والأمراض والبلايا ويسألون الله العافية منها، فهم يدافعون أقدار الله المكروهة شرعاً وطبعاً، بأقداره المأمور بها شرعاً وطبعاً، وليسوا كما رماهم به هذا الكاتب، أنهم يسعون لتحصيلها، فهم أصبر الخلق على المصيبات، وأعظمهم سعياً في جميع الأسباب النافعات، وليسوا كمن صرف جميع هِمَّته في السلامة من الأمراض البدنية والفقر، ولا يبالي بدفع الأمراض الروحية، التي هي أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاءً، وهي أمراض القلوب، ولا في دفع الفقر الحقيقي، وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات، كما يدعو إليه هذا الرجل، ويحث عليه في كتابه، ويحث على

صرف الهمة كلها للوسائل، ويزهد ويثبط عن المقاصد النافعة، التي لا تنفع الوسائل بدونها.

فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب؟ وهل يفيد إصلاح الدنيا فقط مع تخريب الآخرة؟ فالآخرة والعمل لها ليس عند هذا الكاتب لها ذكر ولا خبر؛ وإذا انهار الأصل تداعت الأركان والفروع؛ فالمسلمون بالمعنى الحقيقي يقومون بعبودية الله التي خلقوا لأجلها، ويستعينون بما في هذه الدنيا على هذا المطلوب الأعظم، فهم أطيب الخلق نفوساً وأغناهم قلوباً وأشكرهم لله عند النعم والمحبوبات، وأصبرهم عند البلايا والمكروهات، فدين الإسلام من محاسنه أنه يدعو إلى هذه الحياة الطيبة، ويجمع بين الوسائل النافعة والمقاصد المطلوبة، حيث تدعو الآراء المنحرفة التي يدعو إليها هذا الكاتب إلى اللذات الحاضرة الجزئية والشهوات والأغراض السفلية.

ومن تأمل كتاب هذا المنحرف رأى أنه يُبدي ويُعيد في صرف القلوب بالكلية إلى الشهوات واللذات وإطلاق السراح للنفوس، وأنه لا ينبغي أن تتقيد بشيء يصدّها عن تحصيل مآربها السفلية، ثم في مقابلة ذلك يهون الجزاء الأخروي، وقد

يستهزئ به ويجيء بأساليب استهزاء وسخرية محزنة، كما ذكره في صفحات (١٧) و (٣٥) و (٣٧) و (٦٦) و (٧٨) و (٨٥) و (١٢٦) و (١٧٨) و (٣١٩) و (٣٢٥). فيا ويحه ماذا أبقى على دينه، بل ماذا أبقى على عقله؟ فإن الاستهزاء والسخرية بوعد الله ووعيده، كما أنه مخرج من الدين، فإنه مخرج من طور العقل، فهل في القضايا والحقائق أعظم وأكبر من وعد الله ووعيده؟ وهل في جميع المسائل الكلية والجزئية أجلى برهاناً وأوضح أدلة من أدلة هذا الأصل العظيم، الذي اجتمع على تحقيقه وتصديقه جميع الأنبياء والرسل والأدلة السمعية والعقلية، بل والأدلة الحسية المشاهدة؟ فمن أنكر ذلك واستهزأ به فقد نادى على عقله بالسفه والخروج عن طور العقلاء، بعدما خرج من الدين، فكل من استهزأ بالإيمان وبوعد الله ووعيده، فإنه داخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومن بحوث هذا الكاتب الخبيثة أنه أنحى على خيار الخلق، وحمل عليهم في قيامهم بخالص العبودية وروح الدين والإسلام، وهو الافتقار التام إلى الله وتفويض العبد أموره كلها

إلى الله، ونقل كلام ابن القيم رحمه الله في حقيقة الفقر؛ ذلك الكلام النفيس القيم في تحقيق العبد افتقاره إلى ربه وتعلق قلبه التام بربه، الذي جاءت به الكتب ودعت إليه الرسل، وتنافس في نيله أرباب الصدق والإخلاص، وأولو الألباب، فساقه مع غيره، نافياً له متهكماً، ساخراً بعباد الله المخلصين، هازئاً بالأخيار المفتقرين إلى الله خالقهم الغني الحميد، وهو في الحقيقة المسخور منه، المبتلى ببلوى يسألون الله منها العافية، وهذه السخرية في الحقيقة والتكذيب موجه إلى روح الدين، فإن روح الدين هو التواضع والذل التام لرب العالمين، ورؤية العبد افتقاره الحقيقي إلى ربه واضطراره إليه في جلب مصالحه ودفع مضاره، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بوجه من الوجوه، وأن من تمام عبوديته إلى ربه أن يلجأ إليه ويضرع إليه في جميع شؤونه، ويعلم أنه في غاية العجز والضعف عن القيام التام بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وعن القيام بجميع الوسائل النافعة، وأنه وإن لم يُعنه ربه لم يتم له أمر؛ فالمسلمون يعلمون أن افتقارهم إلى ربهم، لا ينافي قيامهم بالأسباب النافعة، كما أن القيام بالأسباب لا ينافي الافتقار إلى الله تعالى، بلْ كل واحد من الأمرين، يمد الآخر فكلما ازداد العبد افتقاراً

إلى ربه والتجاء إليه جاءه من معونة ربه وتيسير أموره ما لا يحصل له بدون ذلك، وكلما قام بالأسباب مستعيناً بالله أمدّه بإعانته وتوفيقه.

فهذا الكاتب ظن أو جعل افتقار المسلمين إلى ربهم يوجب الضعف والكسل وموت الهمم، وصوّره بهذه الصورة الشنيعة، ثم طفق يحط على خيار المؤمنين ويرميهم بضعف الرأي والهمة والعقل، ولم يعلم المسكين أنه ينادي على نفسه بسفاهة العقل وقلة الإدراك، إذ كان هذا ظنه، وإن كان الأمر غير ذلك،

فهو يبرهن على خداعه وبهرجته وتصويره حالة المسلمين بحالة شنعاء،

ليتوسل إلى القدح فيهم وفي دينهم، عند من لا يعرف الحقائق، ويح هذا

الرجل إذا أنكر روح الدين ومقوماته وأصوله العظيمة، التي لا تستقيم جميع الأمور إلا بها فماذا يعترف به؟ وإذا ذم الافتقار إلى الله والرجاء له في كل الأحوال والاعتراف بأنه هو الميسر للأمور المسهل للصعاب الذي ما بالعباد من نعمة وخير وتوفيق فليس إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا

هو، وهو الذي يجيب دعوات المضطرين ويرحم ضعف المفتقرين ويجبر قلوب المنكسرين لجلاله، الطامعين كل الطمع في فضله ونواله، إذا ذم هذا فأي شيء يحمد ويمدح؟ أيحمد النفس الضعيفة المهينة العاجزة عن مصالحها، إلا بإعانة ربها؟ أو يثني على الطبيعة ويأمر بالافتقار إليها وصرف الهمم والقلوب إليها؟ وهذا ما يدعو إليه؛ فيا ويحه ما أخسر صفقته، ويا ليت شعري ماذا يقول في أكمل الخلق في جميع الصفات الكاملة وسيد المتوكلين وقدوة المفوضين وأعظم الخلق افتقاراً إلى ربه بكل معنى واعتبار حين يقول صلّى الله عليه وسلّم: ((اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك وأصلح لي شأني كله، اللهم إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وعجز وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك)) ؟.

لا بدَّ أن يقول: إن هذه حالة ذميمة صاحبها مهين ضعيف النفس

كسلان، كما صرح به حيث وجه الذم إلى المسلمين المفتقرين إلى ربهم،

وحسبك بقولٍ فساداً وبطلاناً وشناعة أن يبلغ هذا المبلغ؛ ولقد تمم كلامه

في الافتقار إلى الله كلامه في التوكل، حيث فسر التوكل بتفسير طويل

مردد يرجع حاصله إلى أن معناه العلم بنظام الكون، وأنه لا يتغير ولا يمانعه ممانع، ولا يغير الله أسبابه، بإيجاد أو تقوية أو زيادة أو نقص، فأبطل التوكل من أصله ونفاه من أسه، والتوكل هو من أعظم أصول الدين وأعمال القلوب، التي لا تتم شروطها إلا بالإيمان التام بالله تعالى، والإيمان بقضائه وقدره، وأنه تعالى هو المتصرف ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور كلها بيده وتحت تدبيره، وأن نواصي العباد بيده تعالى، وأن أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع شؤونهم الجليلة والحقيرة منتظمة في قضائه وقدره، وأن أفعالهم من طاعات ومعاص داخلة في مشيئته وقدره، وأن الله جعل لهم الاختيار فيها ولم يجبرهم عليها؛ فإذا علم العبد ذلك حق العلم اعتمد على ربه اعتماداً حقيقياً في جلب مصالحه وفي دفع مضاره الدينية والدنيوية ووثق بتحقيق مطلوبه، وأن الله كافٍ من توكل عليه،

فهذا التوكل الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، واتفق عليه جميع أهل الملل والأديان الصحيحة، وهذا قد أبطل ذلك كله؛ لأن من كان أصله نبذ الإيمان والحث على نفيه، وزعمه أنه لا تقوم الأسباب إلا برفض الإيمان، ومن كان مذهبه أن التدبيرات في العالم العلوي والسلفي كلها من تدبيرات الطبيعة ونظامها وتفاعلها وتطورها، ومن كان مذهبه في الوحي ذلك التفسير الذي نبهنا عليه، ومن كان رأيه في الجزاء الدنيوي والأخروي ما أشرنا إليه، ومن كان يدعو إلى رفض القديم الذي هو كتاب الله وسنة نبيه، ومن كان يأمر الناس بثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها تعاليم الدين وأخلاقه كلها، ومن صرّح بالكفر بجميع الأنبياء تصريحاً لا يمتري فيه كما سيأتي إن شاء الله نص كلامه، ومن كانت هذه الأصول الخبيثة وغيرها، أصوله التي يبني عليها، فلا تستغرب عليه إنكاره للتوكل على الله، وتكذيبه جميع نصوص الكتاب والسنة في معناه.

وكذلك من مباحث هذا الكتاب الضارة، التي بلغت في الفظاعة ووصلت في الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد، له أدنى عقل وبصيرة من الأولين والآخرين، ما يبديه ويعيده

ويكرره، أن الإنسانية لا تزال في تطورها وترقيها، حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم، إن كان يثبته بلفظه فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكل شيء عليماً، وعلى كل شيء قديراً، وأنه قد علم ما كان في أول الموجودات، وما يكون من آخرها، وأنه علم مبدأ هذه الخليقة، وخلَّف علوم الرسل خلف ظهره، وهو يحاول علم ما سيكون في هذا العالم، بل علم مقدار ما بقي من عمر هذا العالم، وقد علم حالة العالم السفلي، وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوي وصنع الصور والأجسام، وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح، فهو لا يستبعد إيجاده للحيوان الصناعي والإنسان الصناعي غير مبال بتكذيبه لله ورسله، فقد زعم أنه قد يتمكن أن يوجد الحيوانات، ويزعم أن التفريق بين الخالق والمخلوق، أكبر الأغلاط، وأنه يجب أن لا يفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان، وأن من فرّق بينهما فلجهله وضلاله وغلطه، كما صرح بذلك في هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨) و (٥٨) و (٦٧) و (٧٠) و (٧٧) و (٧٨) و (٩٧). فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع، وهو تضليله للمفرقين بين الله وبين خلقه، كل رسول أرسله الله إلى الخلق، وفي مقدمتهم

محمد صلّى الله عليه وسلّم فضلاً عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى.

فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام، هو توحيد

الباري واعتقاد انفراده بجميع معاني الكمال المطلق، الذي لا تدركه العبارات

ولا تتصوره الأفكار، وأن جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم

السفلي، لا يمكن بل يستحيل ويمتنع؛ أن يساووا رب العالمين؛ وأن

يماثلوه في صفة من صفاته، ولا نعت من نعوته، وأن أظهر القضايا

الدينية والعقلية والفطرية، هو التفريق بين الخالق والمخلوق في كل النعوت، فالرب هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الرزاق المدبِّر، وما سواه مرزوق مدبَّر، وهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء، والعليم بكل شيء، والقدير على

كل شيء، والعزيز بكل معاني العزة، والحكيم الجامع لمعاني الحكمة، والعظيم الذي له جميع صفات الكبرياء والعظمة، إلى غير ذلك من نعوت جلاله وصفات كماله، والمخلوق حادث بعد العدم له أول وآخر، وهو ضعيف العلم، ضعيف القدرة، والله تعالى هو الذي أعطاه ما أعطاه من علم وقدرة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأعظم الخلق وهم الرسل والملائكة؛ قد اعترفوا أنه لا علم لهم إلا ما علّمهم الله، فمن سوّى بين الله وبين خلقه، فلا يَعْدُو إما أن يكون أعظم الخلق جهلاً وضلالاً واغتراراً، وإما أن يكون منكراً لرب العالمين جاحداً له من كل وجه، يريد أن يخادع ويماكر بإظهار الإيمان به. فهذا الكاتب خادع ومخدوع، بما رآه في تفوق الأمم المتقدمين في الصناعات والاختراعات والفنون العصرية، وأنهم لما مهروا في علوم المادة والطبيعة، فلا بدَّ أن يصلوا إلى العلوم التي لا يعلمها إلا الله، ويقدروا على ما ليس في وسع الخلق وطاقتهم القدرة عليه، وإن جاز أن يظن هذا الظن، فليعلم إن كان لم يعلم؛ أن الله تعالى خلق الإنسان في هيئة وخلقة، قابلة للترقي في العلوم والأعمال، التي هي في طوره وطاقته، وأمده بالعقل والفكر وإرشادات الرسل ومن سلك سبيلهم، في هداية الخلق

وهيأ له الأسباب، التي توصله إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه، من الأطوار البشرية وجعل له حداً ينتهي إليه، ويتعذر عليه مجاوزته، جعله يترقى في أشرف العلوم، وهو علم التوحيد والعقائد والأخلاق والأحكام، وفي علوم السياسة وتدبير الأمم وطبقات الناس، وسخّر له هذا الكون يستخرج آثاره ويستمد بقواه على صنائعه ومخترعاته، فحصل للناس في هذه الأمور ارتقاء إلى حيث هيئ لهم كلٌّ على حسب مشربه.

أما الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين والأئمة المصلحين الهادين المهديين، فشربوا من العلوم الدينية وتغذوا بالمعارف الربانية المصلحة للقلوب والأرواح المرقية لها إلى أعلى الدرجات، وأكمل السعادات، وكملوا ذلك بعلوم الأحكام ومعرفة الحلال والحرام، وعلوم المعاملات والحقوق المتنوعة بين الخلق المبْنية على كمال العدل والقسط والصلاح والإصلاح، ومعرفة الفنون السياسية وجميع العلوم المعينة على الدين، المصلحة للأحوال الجالبة للمنافع الدافعة للمضار، حتى صاروا هادين مهتدين، بهم يهتدي المهتدون وبإرشاداتهم يقتدي الصالحون، فلم يصل لأحد علم ولا معرفة ولا خير إلا على

أيديهم، وبهدايتهم وعلومهم ومعارفهم، توزن العلوم والمعارف؛ وبأخلاقهم وأعمالهم يتبين الصالح من الفاسد؛ فبلغوا شأواً وغاية لم يصل إلى قريب منها أحد من الأولين والآخرين، وصار الواحد من أتباع الرسل وأئمة الهدى، لو قيس به جميع من يعظمهم هذا الكاتب، ويخضع لمعارفهم وأحوالهم، من أئمة الملاحدة لم يصل إلى عشر معشار ما أوتيه من القوة العلمية، فضلاً عما يترتب على ذلك من أحوال القلوب والإنابة إلى الله تعالى، وكل من له معرفة يشهد بذلك، والكاتب اعترف به وشهد به حيث ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه ((الصراع)) ترجمة حافلة وفضَّله على جميع العلماء، وأنه بزّهم بسعة علمه وقوة إرشاده وسعة اطلاعه ومهارته العجيبة، ولا فرق بين المسلمين منهم والمبطلين، ولكنه كذّب نفسه وتناقض في هذا الكتاب، فيا ويحه المسكين أنى يؤفك ويصرف عن الحق. وأما في هذا الوقت الأخير فقد جدَّت الأمم الأفرنجية والأمريكية ومن تبعهم، واجتهدت في الفنون العصرية، وصرفت لها أوقاتها وراحاتها، وأقبلت عليها إقبالاً عظيماً، فبلغت هذا المبلغ الذي لم يصل إليه أحد، وهي جادّةٌ في السير

إلى تكميل فنونها، وستصل بحسب ما يرى إلى ما تصل إليه قواها ومداركها.

وأما كون معارفهم لا منتهى لها وأعمالهم لا حد لها وأنها ستزاحم رب العالمين وستعلم كل شيء وتقدر كل شيء فهذا أمر يعرف بطلانه ببداهة العقول. نعم هي قد توصلت من علوم المادة الأرضية والحيوية وتسخير القوى السفلية إلى أمور لا يمكن إنكارها، أما كونها تتصل إلى عالم السموات والعالم العلوي وعلم ما كان وما سيكون، مما لا سبيل لها إليه بوجه من الوجوه أو أنها ستتمكن من إيجاد الحيوانات ونفخ الروح فيها فهذا ممتنع في العقول الصحيحة كما أنه ممتنع في الشريعة، فإن الله تفرد بغيوب لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلاً عن غيرهم، وتفرد تعالى بأنه هو الذي يميت ويحيي لا يشاركه في ذلك مشارك من أهل السماء وأهل الأرض، فهنا يقال على سبيل التحدي لأي مخلوق يكون: قد صنع هؤلاء المخترعون وأهل المهارة في علوم المادة الصورة والصنائع المدهشة فهل في إمكانهم إيجاد بعوضة أو غيرها أو يردوا الروح إذا بلغت الحلقوم إلى موضعها؟ ويقال: هذه الأمم قد أوجدت المراكب

البرية والبحرية والهوائية وسخّروا مادة الكهرباء حيث يريدون ويشاؤون وفعلوا كذا وكذا مما هو داخل في قدرة الإنسان وحللوا العناصر الكبار والصغار فهل في إمكانهم أن يوجدوا أصغر مخلوق؟ وهل لهم طريق إلى العلوم الغيبية التي انفرد الله بعلمها؟ فهل عندهم علم متى يجيء المطر ومتى يموت الصحيح وما مقدار عمره وماذا يكسب الخلق في مستقبلهم على سبيل العلم الجازم؟ ونهاية ما عندهم التكهنات والتخرصات بحسب ما يشاهد من الأسباب، وهل لهم سبيل إلى العلم بأحوال البرزخ والآخرة مما أخبرت به الرسل وكيفية ما فيهما، وعند هذا الكاتب أن الإنسان لا يتعذر على علمه ولا على قدرته شيء، فتأمل هذا القول الذي لم يصل إليه أحد من العقلاء ولا الحمقى.

وفي كتابه في مواضع متعددة اعتراف بانفراده عن الناس بكثير مما ذكرناه ونذكره عنه من الأقوال الباطلة وأنه أدرك ما لم يدركه الرسل وأتباعهم، وهذا مع ما فيه من العجب والاغترار البليغ، والكذب الصراح، اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاء كلهم، وهذا من التجري والافتراء بمكان سحيق، فالمشركون واليهود

والنصارى، لم يجرؤوا على ما يقارب هذا القول، وقد اتفق جميع المثبتين للخالق؛ من أهل الأديان وغيرها، أن المخلوق لا يمكن أن يساوي الخالق بوجه من الوجوه، ونهاية ما بلغ شرك المشركين؛ أنهم جعلوا لهم آلهة يزعمون أنها يعمل لها من العبودية، ما يستحق لله مع اعترافهم أنها مخلوقة عاجزة ناقصة، وأنهم ما عبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، فتباً لمن صرح بمقالة يتحاشى ويتنزه عنها اليهود والنصارى والمشركون. وأما قصور هؤلاء المتأخرين في علوم التوحيد والدين، مع مهارتهم في فنون الطبيعة، فهذا من آيات الله وبراهين قدرته، أن تجد أناساً في غاية الذكاء والبراعة، وقد أدركوا من العلوم والفنون والعصرية، ما عجز عنه الأولون وحار فيه الآخرون، ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط، في هذه الأشياء تجدهم في غاية الجهل والقصور العظيم والضلال البعيد عن العلم بالله وتوحيده، وما يستحقه من العظمة والجلال، وتجدهم يشاهدون من خوارق علم الإنسان، ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيوبه وأحوال الجزاء، وهم مقيمون على الكفر والتكذيب؛ أفبِقُدْرة الإنسان يؤمنون، وبقدرة الملك العظيم يكفرون؟ فهؤلاء برعوا في أمور خاصة

ضئيلة بالنسبة إلى العلوم النافعة والمطالب العالية، التي لا سعادة للخلق ولا فلاح لهم إلا بها، وعموا عن المقاصد، فبذلك يعلم أن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه، وأن إعجاب الإنسان بنفسه، وتيهه بمعارفه الضئيلة، أكبر حجاب بينه وبين الله، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وشقى.

ومن فروع غلوه في الطبيعة، أن ادّعى وكابر، وكذَّب ما جاءت به الرسل، وأخبر الله به في كتابه ورسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم عن آدم أبي البشر وزوجه، وعدوهما إبليس وما قص الله من أنبائهم، فتجرأ هذا الرجل وترك ما أخبرت به الرسل والكتب السماوية، وسلك مسلك ملاحدة الطبائعيين، الذين نظروا نظرية خرافية؛ تسمى نظرية دارون الإنكليزي، مآلها تسلسل الإنسان عن القرد، والقرد عن كلب أو حيوان دونه وهكذا خطّأهم فيها قومهم فضلاً عن الرسل وأتباعهم، حيث زعم أن الإنسان الأول في طور شبيه بالحيوان، أو هو الحيوان وأنه بقي مدداً طويلة ملايين أو ملايين الملايين، حساباً جزافاً لا ينطق ولا يحسن الخطاب ولا يرد الجواب، وإنما يتناعتون ويتصايحون تصايح

الأجنة، في أول وضعهم من بطون أمهاتهم، وأنهم مكثوا تلك المدد

العظيمة، وهم على هذا الوصف، ثم إنهم ارتقوا عن هذا الانحطاط، فتمكنوا من الإشارات، وصار بعضهم يشير إلى بعض، من غير أن يهتدوا إلى نطق، ثم مكثوا ما شاءت الطبيعة . إلا ما شاء الله عنده ـ حتى ترقّوا، فصاروا يتمكنون من النطق، فلم يصلوا إلى هذا الطور، حتى مضت عليهم أحقاب بعد أحقاب؛ وهذا مع ما فيه من تكذيب جميع الكتب والرسل، فإنه أخبث التخرصات، وأبعدها عن الحقائق، فأي طريق دلهم على هذا التخرص الباطل، وأي سند أوصلهم إلى هذه الجراءة، ولكن يأبى الله تعالى، إلا أن يفْضح النابذين لدينه المكذبين له ولرسله، تركوا علوم الرسل والحقائق اليقينية، وتبعوا التخرصات وما خرصوه وتخرصوه في الحفريات، وما يجدونه من جثث بعض الحيوانات، فبعداً لمن اختار هذه الخرافات والخزعبلات، على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، وويل للكافرين من عذاب شديد، الذين يكذبون الله ورسوله ويؤمنون بكل شيطان مريد.

ثم انظر إلى المبحث الأخير من كتابه الذي عنوانه: (المشكلة التي لم تحل) في صفحة (٣١٥) وما بعدها إلى آخر كتابه، كيف أتى فيه بالطامات والفظائع، وأنكر المنكرات، وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله، من أشكل المشكلات، وهي أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين، ثم صرَّح بهذه الجراءة التي ما وصل إليها أحد من البشر، إلا فرعون وأشباهه، الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية. وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة، فجميع الكتب المنزلة من الله: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وجميع ما قالته الرسل عموماً وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً، وجميع العلماء الربانيين والهداة المهتدين والحكماء والأساطين، الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله، ولم يحلوا هذه المشكلة، التي زعمها فبقيت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد، عند هذا الكاتب، فيا ويحه ما أعظم هذه الطامة، وما أشنع هذه الجراءة على الله وعلى رسله وكتبه، وعلى جميع أهل العلم، وكيف طاوعته نفسه على هذه الطامة الكبرى، وكيف لم يكن له عقل يحجزه ويردعه عن هذه الشناعة التي صار بها مضرب المثل في الإلحاد الجنوني والزندقة المتفننة، سبحان

الله العظيم، وصدق رسوله النبي الكريم، هذا الدين العظيم، الذي وضح الحقائق الأصولية والفروعية، وعلوم الباطن والظاهر، والعلوم المتعلقة برب العالمين، والمتعلقة بالمخلوقين، بيَّن كل شيء وأوضح كل شيء، وهذا الرسول الكريم [(صلى الله عليه وسلم)] الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق وأكملهم في جميع المعاني والصفات، إذا قصر هذا الدين، وهذا الرسول [(صلى الله عليه وسلم)] عن بيان هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول والأساس الأكبر، لأمور الدنيا والآخرة، فأي شيء بيَّن ووضَّح؟ وإلى أي شيء هدى وأرشد؟ وإذا لم يحلَّ ما زعمه هذا المفتري مشكلاً، فأي مشكل حلَّه؟ وأي علم أبانه ووضحه؟ لقد كان هذا الدين على زعم هذا الكاتب، من أعظم النكبات على البشر، نقول: على زعمه على وجه الإلزام، وقد صرح بذلك في مواضع من كتابه، وعلى زعمه ما زاد الناس هذا الدين الكامل ولا الرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم إلا شراً ولا أوقعهم إلا في أعظم الضرر، فسبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. هذا الأصل الكبير قد وضحه الله في كتابه، ووضحه رسوله توضيحاً حتى بلغ من وضوحه أن كان أظهر من الشمس في رابعة النهار، وأبلغ من جميع المسائل كلها، فلا يوجد في

الدنيا أي مسألة إلا وكان بيان هذا الأصل أعظم من بيانها، وبراهينه وأدلته أكبر من براهينها وأدلتها.

لقد كاد الكتاب والسنة، أن يكونا تأصيلاً وتفصيلاً لهذا الأصل

العظيم، وأما البراهين العقلية والفطرية فكلها متفقة على الاعتراف بالله،

حتى المشركون الذين يجعلون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً، من العبادة معترفون أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور،

وقد قالت الرسل: أفي الله شك؟ وقد عظمت هذه المسألة أن يبرهن عليها

كما قيل:

وليس يصحُّ في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا المفتري بعد المحاولة والمجادلة، وترديد الكلام والهذر، الذي لا حاصل له؛ زعم أنه انفرد بحلها، فاستنتج بعقله الجنوني وجراءته العظيمة، أن حلها الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان وراء ظهورهم، ويكونوا معانقين للطبيعة، منسلخين من الدين

والشريعة بالكلية، وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد حلّوا هذا اللغز المعقد، وإن بقي علهم بقايا من الإيمان فإنهم في قيود وأغلال قد تعذر عليهم النهوض والرقي.

فيا ويحه أين قوله إنه مؤمن بالله وبكل ما أخبر به؟ وهل بلغ أحد من الملحدين هذه الهاوية السحيقة؟ لقد وضح كل الوضوح، وزال الإشكال، أن هذا الرجل مخادع، قد سلك نهجاً جديداً في الدعاية الإلحادية؛ أتى على جميع الأديان من أصلها ليزيلها ويقلعها؛ فهو بهذه الدعاية قد تصدى لمحاربة الأديان السماوية كلها، ويحه المسكين الذي أضحى فريسة الملحدين، إذا لم يثبت أصل الإيمان فأي شيء يثبت؟ وإذا لم يؤمن بالله فبأي شيء يؤمن؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] فمن وصلت به الحال إلى هذا الحد من الجحد، لم يبق للكلام معه فائدة لأن المكابر المباهت تريه أظهر الأشياء فينكرها.

يزعم هذا الكاتب أن إيمان المتدينين يمنعهم من مباشرة

الأسباب، وإن باشروها فعلى وجه ضعيف؛ هذا حاصل المعنى الذي

طوّل فيه الكلام، ورددده واستنتج منه، أنه يتحتم على الناس رفض

الإيمان بالله وبأقداره، حتى يخرجوا من غلهم وحبسهم، وينطلق سراحهم، لقد صدق هذا الكاتب في أن الإيمان حبس لهم، ولكن عن التهتك في الأخلاق الرذيلة، وعن الانغماس في الفجور والفواحش الظاهرة والباطنة، وقيد لهم عن التجري على الظلم للخلق، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم، وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحيين ما داموا متمسكين به؛ لكن بتركه والإعراض عنه، تنحل عنهم القيود الشرعية فيصيروا كالبهائم، وتكون أمورهم فوضى.

وهذا ما أراده هذا الكاتب وهو يعلم حق العلم، أن هذه الثمرات الجليلة من أعظم محاسن الدين وأجلّ ثمراته، ولكنه يسعى أحث السعي لقطعها ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. فهذا الرجل لم يسلك مسلك الحذاق من الملحدين؛ الذين يموهون بأشياء تروّج على كثير من الناس، ولكنه جاء إلى أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها، فأنكره غاية الإنكار، وكابر فيه أعظم مكابرة. زعم أن الإيمان بالله

يضعف القوى ويوهن العزائم؛ والحال أنه لا تقوم القوى كلها، ولا تنهض إلا بالإيمان بالله، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فكل حول وقوة مستمدة من حول الله وقوته، والعبد إذا وكل إلى نفسه، فقد وكل إلى ضعف وعجز ونقص من جميع الوجوه، فالمؤمنون بالله حقاً هم أقوى الخلق قلوباً، وأبلغهم شجاعة، وأصبرهم على المكاره، وأثبتهم في المواطن الحرجة؛ لإيمانهم الكامل بالله ورجائهم لثوابه، وخوفهم من عقابه. فالإيمان هو مادة كل خير، وكل صلاح وإصلاح، وبه تندفع شرور الدنيا والآخرة.

ثم مع ذلك الترويج والجحد للإيمان بالله، يباهت فيزعم أن أهل

الدين لا يمكنهم فهمه على وجهه؛ فعلى قوله لم يفهمه الصحابة

والتابعون لهم بإحسان، ولا العلماء الربانيون ولا سائر أهل العلم من المسلمين، وحيث لم يفهموه عنده، يتعين عليهم رفضه والأخذ بطريقة الملحدين؛ فأين الإيمان والإسلام الذي يدعيه هذا الرجل، ويزعم أنه يغار على المسلمين وهو متصدٍ لمحاربتهم ومحاربة دينهم؟ وأين العقل الذي يبقى على

صاحبه، ويجعله متماسكاً بين الناس؟ فإن هذا تهور واستهتار ومناداة على عقله بالسفه والجنون ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] وهو مع هذا يبدئ ويعيد في الاستهزاء بشرائع الدين وبأهله وحملته على وجه الوقاحة، كدأب الحمقى والمجانين. فالمؤمن يحمد الله على العافية من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى، ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه، ولا يجعله مُثلة بين الخلق، وأن لا يكون كمن آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين.

ومن بهرجات هذا الكاتب حين قرر أن المسلمين لا يفهمون دينهم، ولا يمكنهم فهمه على حقيقته، استشهد على ذلك بما قصه عن الرازي والآمدي وابن أبي الحديد، وأمثالهم من الحائرين في معرفة الله، وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته؛ فزعم هذا الكاتب أن المسلمين كذلك، حائرون لا يهتدون إلى أصول دينهم، ولم يعلم أو علم وتجاهل أن هؤلاء الحيارى إنما حاروا في معرفة الله حين رفضوا علوم الدين في هذا الباب، وتركوا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وأن حيرتهم في هذه الحال من أدل الدلائل على كمال الدين،

وأن كل من ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهذه صفة لكل من كذب بالحق وتركه، لا بدَّ أن يمرج أمره، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] فانظر إلى هذا الرجل كيف لما كذب بالحق وترك الإيمان بالله، ورفضه ودعا الناس إلى رفضه، كيف تقلبت به الأحوال، ولعبت به الأهواء، وصار ينادي ويدعو إلى الإلحاد بعدما كان يدعو إلى دين رب العباد، فالمسلمون ولله الحمد قد فهموا الإيمان فهماً كاملاً، أعظم من فهم أي قضية كانت، فهم أعظم الناس يقيناً، وأثبتهم إيماناً، وأصحهم اعتقاداً، لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، واستقاموا على الصراط المستقيم، حيث عدل غيرهم عن هذا الطريق.

ومن فروع نَبْذِه الإيمان بالله وبما أخبر به على ألسنة رسله، إنكار الملائكة والجن والأرواح، وسياقُهُ لهذا الإنكار، بأساليب تهكمية وعبارات سخرية، بما أخبر الله به وأخبرت به رسله، ونطقت به الكتب، واعترف به علية الخلق، وسائر أهل الأديان السماوية، وجاءت به نصوص الكتاب والسنة في نصوص كثيرة، زادت على التواتر، فأقر بها المسلمون واعترفوا بها،

وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن، وعن أحوال الروح في البرزخ وغيره، ولم ينكر ذلك إلا جاحد ملحد مكذب لله ورسوله، وقد تحاذق هذا الرجل حين نصر قول من كذب بهذه الأصول العظيمة؛ فجمع كل ما يقدر عليه في كتابه من خرافات الخرافيين، عن الجن والأرواح، ونسب ذلك إلى المسلمين، ليتوسل به إلى القدح في الدين ظناً منه أنه يروج على الناس، ثم لما قرر هذا التكذيب بعبارات

كثيرة في صفحة (٣٠٠) وما بعدها، شعر أن الناس لا بدَّ أن يقولوا:

هذا كلام مكذب بالملائكة والجن والأرواح، فقال نفاقاً: ((ليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح والملائكة والجان وبما أخبر الله به ...)) إلى آخر ما

قال. فانظر إلى هذا التناقض والبهرجة التي لا تخفى على من له أدنى عقل،

ولكن من غروره بنفسه، يحسب أن الناس كالبهائم. ومن كذَّب بالمدبرات

أمراً، وتهكم بما يذكر في الكتاب والسنة، ويذكره أهل العلم من أنواع

التدبيرات في العالم العلوي والسفلي، التي تتولاها الملائكة بأمر الله، لم يستغرب بعد ذلك تكذيبه بتأثير العين، وتحريف النصوص الواردة فيها، وتفسيرها بما لم يفسرها به مسلم بل ولا عاقل.

ومن كانت هذه الأصول عنده ترهات وخيالات، لم تستغرب عليه ما نصره من سفور النساء وإيجابه لمخالطتهن الرجال الأجانب، في جميع المجامع الصغار والكبار، وأنه ليس للرجال عليهن درجة، ولا لهم فضل عليهن، وأن هذا السفور والتهتك بزعمه هو عين الصلاح، وأنه لا يمكن إصلاحهن وثقافتهن وتعليمهن إلا بهذه الطريقة السافلة، وأن خيار المسلمين من القرون الماضية، من الصحابة والتابعين ومن تمسك بهديهم إلى اليوم من خيار المسلمين، أن هؤلاء كلهم من أولهم إلى آخرهم من الجهلة الهمج، حيث صانوا نساءهم عن التبرج والتهتك.

ثم باهت في ذلك ناقلاً مستحسناً أن الشر الحاصل من النساء المصونات المحفوظات بحفظ الله، ثم بحفظ أوليائهن أهل

الغيرة على الدين وشرائعه، أعظم من الشر الحاصل من النساء المتهتكات المزاحمات للرجال في جميع ميادين الحياة؛ ثم نقله القبيح واستحسانه في هذا الموضوع كلام الساقطين من الإباحيين الذين لا يرون شيئاً حراماً خبيثاً، بل ما اشتهاه الإنسان فعله ولا قبيح عندهم إلا ما لم تشتهه النفوس؛ كما نقله في صفحة (١٠٣) وما بعدها فيا ويح هذا، ماذا ترك للفضائل الدينية والآداب الدينية والصيانة الإنسانية؟ لقد رفضها كلها، وهذه الطريقة التي استحسنها هي الطريقة الوحيدة للإباحية؛ إباحة جميع ما حرّم الله من الشرك والفواحش والمنكرات.

إذا تقررت هذه المباحث الخبيثة والمنافية للدين من كل وجه،

الدالة على انحراف عقل صاحبها، بعد انحراف دينه فلا تستغرب بعد

هذا ردّه وتكذيبه للأدلة الشرعية، وتحريفه لنصوص الكتاب والسنة، وترويجه بجمع الأحاديث الصحيحة مع آثار باطلة، فيرد الجميع، وتفسير النصوص بغير تفاسير المسلمين، نصرة لباطله، وإنما هي من جنس تحريفات القرامطة الباطنية، ولنذكر

نموذجاً يسيراً من هذا النوع؛ ليُعرف بذلك إلحاد هذا الرجل في ذلك.

قوله في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ذكر في صفحة (٤٤) أن معناها: ((أن الله نعى على المسلمين الموجودين وقت نزول القرآن ويعاتبهم، كيف لا يبصرون ما في أنفسهم من الآيات؛ وأن الصحابة والقرون المفضلة؛ ومن بعدهم من علماء المسلمين، انطوت قرونهم، والعتاب موجه إليهم، واللوم يقرعهم، لكونهم لم يبصروا ما في أنفسهم، من الاستعداد لاستخراج كنوزها لا لاستخراج كنوز الأرض، حتى جاء هذا الوقت فانطبقت عليهم هذه الآية: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] لكونهم العاملين بها، حيث عمى عنها الأولون، وعلِموها حيث جهلها السابقون)).

فهذا التطبيق تحريف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين، ولا ممن يدعي الإسلام ومعناه الجلي عند هذا أن ملاحدة الأمم أكمل وأفضل وأعظم عملاً بهذه الآية من السابقين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى آخر الوقت؛ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن تحريفه لحديث: ((ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ...)) إلى آخر الحديث. قال في صفحة (٤٠) : إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد، وأنه لا يمتنع على قدرته شيء، وأنه لا حد يقف عنده علمه وقدرته.

نزله على ذلك المبحث الخبيث السابق، أن العبد في إمكانه مزاحمة رب العالمين فهذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله، لم يقل أحد ما يشبهه إلا الملاحدة من أهل وحدة الوجود، ومعنى الحديث معروف ولله الحمد بين المسلمين، أن ذلك يدل على تسديد الله وتوفيقه ومعونته الخاصة لعبده القائم بمحبوباته من الفرائض والنوافل.

ومن ذلك ما قاله على قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] في صفحة (٦١) محتجاً بها على قوله الباطل، حيث زعم أن علم الإنسان محيط بمبادئ خلق هذا العالم فإنه يزعم أن الآية لا تنفي العلم، حيث قال: ما أشهدتهم، ولم يقل: ما أعلمتهم، وزعم أنهم كانوا عالمين وإن لم يكونوا مشاهدين، وهذا لم يقله أحد من المفسرين. أما تفسيرها

المعروف عند المسلمين، فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله، الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع، ما يستحقه الله فكذبهم الله وأخبر أن جميع الخلق ليس لهم مشاركة لله بوجه من الوجوه، فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، وهذا نفي لطرق العلم كلها، يعني فليس لهم سبيل إلى ذلك فإنهم إذا لم يشهدوا ذلك، فهم لم يعلموه وإذا لم يعلموه فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة، دعوى في غاية البطلان والتقول على الله تعالى، وهي نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤].

ومن تحريفاته التي تقشعر منها الجلود، ما ذكر في صفحة (٦١)

و (٦٧) على قوله تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ

هُمْ غَافِلُونَ [الروم: ٧] أن المراد بذلك القرن الذي أنزل عليهم،

وأوائل هذه الأمة القرون المفضلة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان،

وأن معناها أن علومهم لم تصل إلى بواطن الأشياء، وإنما علمهم بسيط جداً، وأنهم في ذلك الوقت في طور الطفولية، بل في طور قريب من طور الحيوانات، ولم يبلغوا رشدهم، وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحدة هذا الزمان، الذين علموا من علوم المادة ما لم يعلمه الأولون، لأن العلوم النافعة عنده هي الفنون العصرية فقط، وأما الأصول والعقائد وعلوم الأخلاق وتوابعها التي علم الطبيعة فرع من فروعها، فإنها على قول هذا ليست من العلوم التي يؤبه لها، وكفى به خذلاناً، أن تصل به الحال إلى هذا.

والآية ولله الحمد واضحة لا إشكال فيها، وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد صلّى الله عليه وسلّم، أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة، يعلمون ظاهر الحياة الدنيا دون باطنها، وأنهم في غفلة عن الآخرة، فهذا السبب الذي أوجب لهم، ردَّ ما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم وإلا فلو علموا ظاهرها وباطنها المقصود منها؛ لبادروا إلى الإيمان بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، كما فعله أهل العلم الحقيقي الذين بادروا لما رأوا الآيات البينات إلى الإيمان به، لكن هذا الرجل يطبّق هذه

الآية على خيار الخلق، وأكمل القرون على الإطلاق، ويسخر من العالمين

بباطن الدنيا المستعدين للآخرة، القائمين بعبودية الله، الجاعلين الدنيا

وسيلة إلى الدين، وهو يريد ويحاول في كتابه هذا أن تكون الدنيا هي المقصودة والغرض الأصلي، وأما الآخرة فإن كتابه هذا كفيل بتزهيد الناس فيها، وفي عبودية الله، وفي الجزاء الأخروي؛ فأي إيمان وأي إسلام وأي عقل صحيح بقي بعد هذا؟

ومن ذلك تفسيره لحديث: ((كل مولود يولد على الفطرة)) بأن الفطرة هي الخبث والشر، وأن الإنسان بطبعه خلق شريراً، وأن الفطرة معناها أنه مفطور على الشر، ويرفض جهاراً تفسير أئمة الهدى لهذا الحديث، بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علماً وعملاً، وأن الله تعالى جعل في خلقتهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلاً، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٠، ٣١] الآية ويلزم على قوله أن يُستَدْرَكَ على

النبي صلّى الله عليه وسلّم حيث قال: ((فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه)) فيقال: وأيضاً لم قلت: أو يجعلانه مسلماً؟ لأن قبوله للجميع على حد سواء عند هذا، وفي نفس الحديث والآية الكريمة حيث قال: ((كالبهيمة الجمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها)) أي: كالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق كاملة الأعضاء، حتى يجدعها الناس، بقطع الآذان أو بعض الأعضاء، كذلك الآدمي خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله، فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيّرها من التربية السيئة، لما اختار غير الدين الحق، وعند هذا أن الفطرة معناها الشر والهمجية، وهذا منافٍ للآية والحديث.

ومن أعظم الجرأة، جراءته على قوله تعالى في صفحة (٦٦) :

﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] قال: يعني

بذلك الذين اجتمعوا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم وآمنوا به من الصحابة

الذين هم خيار الخلق وأعلمهم، جعلهم هذا الرجل ينظرون الظواهر، ولا

يبصرون البواطن، فهم في طور الأطفال، كما تقدم التنبيه على هذا مراراً،

وهذا من جنس تفاسير الزنادقة من الباطنية والإسماعيلية والقرامطة؛ والآية الكريمة عند جميع المسلمين معناها ظاهر، وأن هذا وصف للكافرين بالرسول أو وصف للأصنام، فمعناها: ((أن الكفار تراهم ينظرون إليك نظراً ظاهراً وهم لا يبصرون ما فيك من المعاني الجليلة والأوصاف الجميلة والآيات التي تدل أكبر دلالة أنك رسول الله حقاً؛ أو أن هذه الأصنام صور بلا أرواح تراها كأنها تنظر إليك وهي لا تبصر لأنها جمادات)).

ومن ذلك حقّ للراوين عن النبي صلّى الله عليه وسلّم الحديث الذي في مسند البزار: ((أكثر أهل الجنة البله)) فزعم أنهم بذلك يمدحون البلاهة ويحثون عليها، وجمع في هذا خرافات الخرافيين؛ ونسبها لحملة الشريعة ورجال الدين، وكذّب الحديث المذكور.

وتفسير الحديث ظاهرٌ عند المسلمين؛ فإن النبي صلّى الله عليه

وسلّم لم يقل: أهل الجنة البله؛ أو لا يستحق الجنة إلا البله، بل قال أكثر

أهل الجنة البله، فهم لسلامتهم من الغل والحقد والصفات الذميمة، صاروا مستحقين للجنة، لئلا يظن الناس أن أمثال هؤلاء أن الله لا يرفع قدرهم؛ مع أن في كتاب الله وسنة رسوله من الثناء على أهل العقول وأولي الألباب والأحلام والنهى والآراء الرزينة، والحث على كل أمر فيه زيادة اللب والعقل، فكم في كتاب الله وسنة رسوله من ذلك، من النصوص ما يدل على ذلك، فلا منافاة بين الأمرين؛ فالدين يحث على السعي في تكميل العقول، ويثني غاية الثناء على أولي الألباب، ويخبر أنهم خواص الخلق، ومع ذلك فكل من آمن وعمل صالحاً ولو لم يصل إلى درجتهم من البله الأغرار، فإنهم سعداء، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ومن العجائب تنزيله الحروب الحاضرة بين الأمم الإفرنجية والأمريكية وتوابعهم على قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فجعلها المراد من الآية، وقد أجمع المسلمون على أن المراد قتال المسلمين للكفار، فهو المكتوب

المفروض، وهو الذي له الآثار الطيبة، وأما هذه الحروب التي بنيت على الجشع والظلم والقسوة وعدم الرحمة، فأين خيرها وآثارها الطيبة؟ وقد عمّت البسيطة هلاكاً وفناءً وتدميراً، وهي لا تسكن في وقت إلا للاستعداد لمجازر وشرور يُنسي آخرُها أولها، فيا ويح من ألحد في آيات الله.

ومن تحريفاته لحديث أنس ((أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يطوف على نسائه بغسل واحد)). قال في صفحة (١٢٠) أن ذلك مجرد دوران لا مسيس معه، وتهكم بأنس وغيره ممن يفسرون ذلك بالمسيس الذي هو معنى الحديث عند جميع المسلمين، حتى جاء هذا الرجل فأنكر عليهم وكذّبهم، وهذا الوهم الكاذب منشأه أنه ميراث ممن ورثوا القدح في الأنبياء بكثرة الأزواج، فأنزل الله منكراً ومكذباً لهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وأي نقص في كثرة أزواجه، وفي قيامه التام بحقوقهن، وذلك من أجلِّ مناقبه، حيث كَمَّل الحقوق الكثيرة، التي عليه وحيث كان في زوجاته من المنافع والمصالح للأمة ما لا يعد ولا يحصى.

ومن جرأته العظيمة ما ذكره في صحفة (١٢٦) وما بعدها من الصفحات من تكذيبه لجميع النصوص الواردة في الزهد في الدنيا والصبر على البلاء والفقر، وهي جزءٌ كبيرٌ من أجزاء الدين كذَّب ذلك أجمع وباهت بأمر يعرف كذبه به كل أحد، ثم روّج كعادته القبيحة بذكر أحاديث لا زمام لها ولا خطام، حشدها في كتابه وتوسل بها إلى رد النصوص الصحيحة؛ ورمى جميع المسلمين من أولهم إلى آخرهم بقبول تلك الآثار الساقطة، وتقدمت الإشارة إلى محاسن هذا الدين، وأنه يحث على جميع الوسائل والمقاصد وإصلاح الدين، وما يعين عليه من الدنيا بعكس ما كان يسعى إليه هذا الكاتب، يحضُّ على الزهد في الآخرة، بل يسخر بأهلها العاملين، وبما يذكر من الجزاء الدنيوي والأخروي.

ومن انحرافاته الفظيعة، ما نقله تفصيلاً عن التوراة ليس في

التوراة، بلْ في الأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام في الترغيب في

الدنيا، ثم قابل بينه وبين ما جاء به القرآن والدين الإسلامي في صفحة

(١٧٧) وما بعدها، وغلَّط القرآن والكتب الدينية، حيث علقت السعادة والفوز والفلاح في العاجلة والآجلة على العبادة والتقوى والصلاح،

وفضَّل ما نسب إلى التوراة في هذا الموضوع على الكتاب والسنة تفضيلاً عظيماً، بل لم يجعل لهذا الأخير فضلاً بوجه من الوجوه، بلْ حمل على هذه النصوص وزعم أنها هي التي خدرت همم الناس وثبّطتهم ومنعتهم من الرقي، وفيه كالتصريح بإنكار عقوبات الله الدنيوية والأخروية.

ومن ذلك في صفحة (٢٩٦) تهكمه بحديث أنس: ((لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه)) وهو في الصحيح صحيح البخاري، وتهكّم به وبنقلته وأنكره إنكاراً عظيماً، والسبب في ذلك أصله الخبيث حيث فضَّل ملاحدة الزنادقة من الأولين والآخرين على الصحابة وخير القرون، وعرف أن هذا الحديث من الأدلة الكثيرة الدالة على كذبه وبطلان قوله؛ وزعم أن اعتقاد فضيلة الأولين من الصحابة والتابعين منعت الرقي، فهذه الدعاية لنبذ الدين التي يسعى لها هذا الرجل سعياً حثيثاً، ويؤصل أصولاً خبيثة يرد لأجلها الأصول الشرعية، فهذا في

كتابه نهج لهذه الدعاية الإلحادية، دعايات كثيرة تارة بتحريفه لنصوص الكتاب والسنة، وتارة بالقدح في الصحابة والتابعين وحملة الدين من خير القرون الذين لم يصل للناس هذا الدين إلا على أيديهم، وقد أكثر فيه من الاستهزاء والسخرية العظيمة، حتى كادت جميع مباحثه المنحرفة تكون سخرية واستهزاء وتهكماً بالدين والشريعة وحملة الدين.

فهنا يقف العاقل وقفة تعجب فيقول: هل ترى هذه السخريات والتهكمات الصادرة من هذا الرجل، الحامل عليها الإعجاب العظيم

بالنفس واحتقار غيره؟ فإنه لا يستغرب؛ فإن الخيالات متى استحكمت في

النفوس تجسَّمت وصارت لها السيطرة على عقل الإنسان، وعدم الإبقاء منه على مكانته بين الناس، فلا يستغرب بهذا أن ذكاءه وفطنته اضمحلت في ضمن

هذه السيطرة حتى تلاشت، فلم يكن له إحساس بما يصدر منه، وأنه

وصلت به الحال إلى ما يشبه الجنون وعدم الشعور، فإن الذين معهم

مسكة من العقل المعيشي، دع العقل الديني يبقون على أنفسهم، وعلى مكانتهم عند الناس، وفي قلوب من يعظمهم، فلا يرضى أحدهم أن تكون السخرية

والاستهزاء ديدنه في الأمور العادية فضلاً عن أن توجه إلى دين الله وإلى رسله وأتباعهم؛ ولكن يأبى الله إلا أن يفضح من تعرض لدينه وشرعه وأوليائه في الدنيا والأخرة.

وإذا كان من جملة مقالاته الشنيعة الفاضحة، ما صرَّح به في

صفحة (٣١٧) بقوله الصريح: (إن المتديِّنين على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم وأمزجتهم وأجناسهم عجزوا أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة)، فهل بعد هذا التصريح بنبذ الديانات السماوية كلها، والكفر بجميع الأنبياء وتحقيرهم، وتفضيل غيرهم عليهم شيء، وهل وراء هذا التقدم إلى الكفر غاية ونهاية، وكم له في كتابه هذا من هذا النوع شيءٌ كثيرٌ. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

واعلم أن عباراته في هذه المواضيع، التي نبهنا عليها

كثيرة مكررة بعبارات متنوعة لم ننقلها خوف طول الكلام لغير فائدة،

ولكننا أتينا بمقاصدها؛ وأرشدنا لمن يحب الوقوف عليها إلى صفحاتها

من كتابه الأغلال المطبوع؛ وكذلك في رسالتنا هذه لم نكثر من ذكر الآيات والأحاديث الرادة لقوله؛ لأن الكتاب والسنة كلها رد لقوله لأنه نفى جميع أصول الكتاب والسنة وأراد قلعها من أساسها ولأن المقام يقتضي ذلك، فإن المناظرة مع من يعظم الكتاب والسنة نوع، ومع من لا يراهما نوع آخر.

ونحمد الله على ما نبهنا عليه في كتابه من الفظايع والشنايع التي لا يقولها إلا من انتهى إلحاده وكفره، لم نستعمل معه في خطابه الخاص إلا الرفق واللين اتباعاً للكتاب والسنة في خطاب المحاربين المنحرفين أن يقال: قال فلان وفعل فلان؛ وأما عند ذكر الأقوال الشنيعة، فيذكر ما احتوت عليه من الضرر والمناقضة للأديان، ومرتبتها في البعد من الدين، وبيان ما على قائلها من الضلال والغي، فيكون القدح فيه موجه عليه من

أقواله ويبين ما على صاحبها من نقص الدين والعقل والرأي، وليس لنا غرض في شخصية هذا الرجل، ولكن لما اعتدى على ديننا الإسلامي، وعلى قواعده وأصوله وأسسه، وتهكم به وبحملته، وفضّل عليهم زنادقة الملحدين، وصنع مع المسلمين أعظم من صنيع دعاة النصارى من المبشرين، وجب على كل مسلم مدافعته ودفع شره وتبيين أمره، والتحذير من طريقته ودعايته بحسب القدرة، وإلا فوالله إننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب هذا الرجل، ونعدّ ذلك من الخسائر علينا، حيث فقدنا هذا الرجل الذي مضى له من المقامات ونصر الحق ما لا ينكر، بل لنا أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] ونسأل الله أن يرده إلى الحق، وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتنصل مما وقع منه، وأن يكتب كتاباً في رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي.